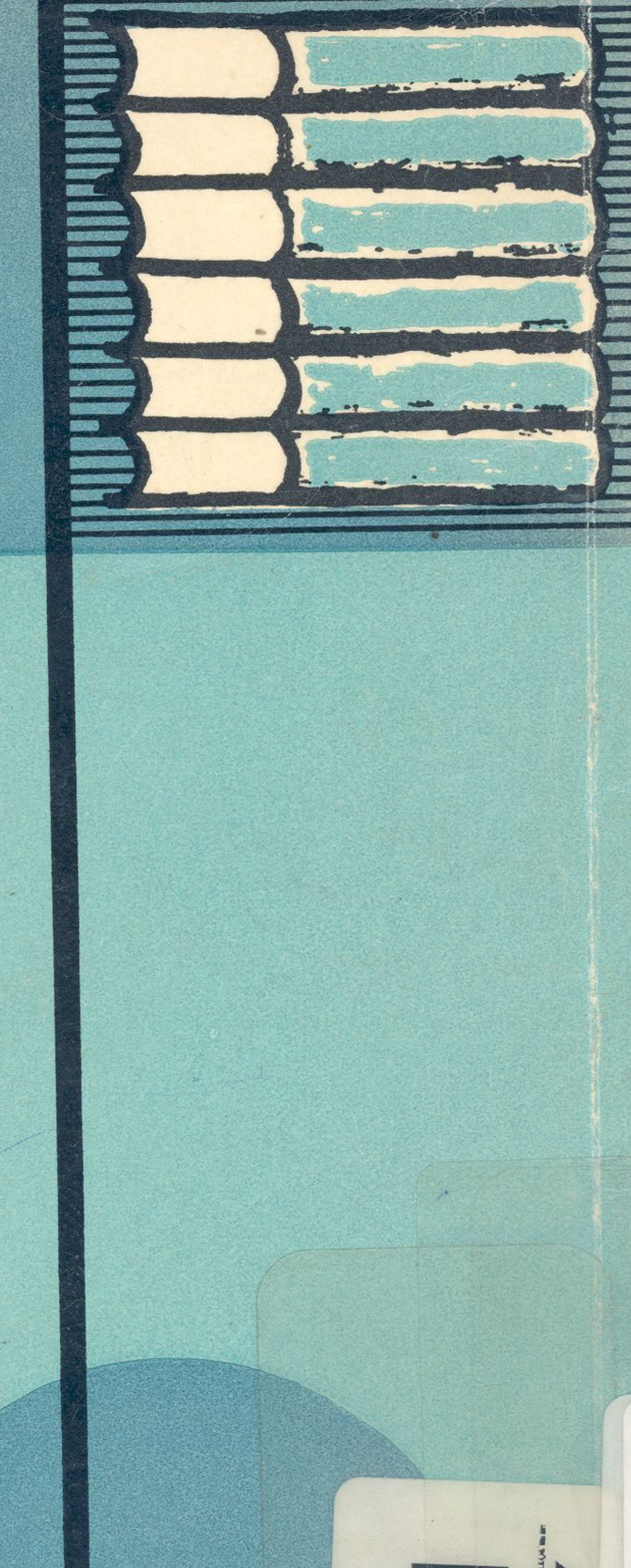
# دراسات فى الاسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف

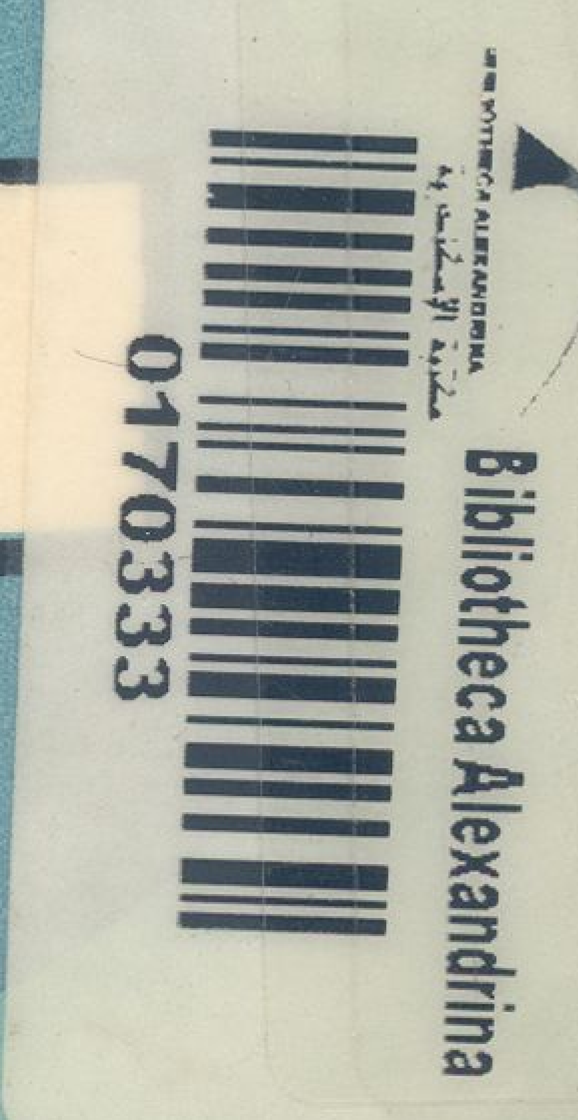


الحكيم الثائر

# جمال الدين الأفغاني

محمد سلام مدكور

العدد الخامس عشر



الأستاذ الدكتور
عبد العزيز رهام
رئيس قسم اللغة العربية
والرسم
الاسكندرية

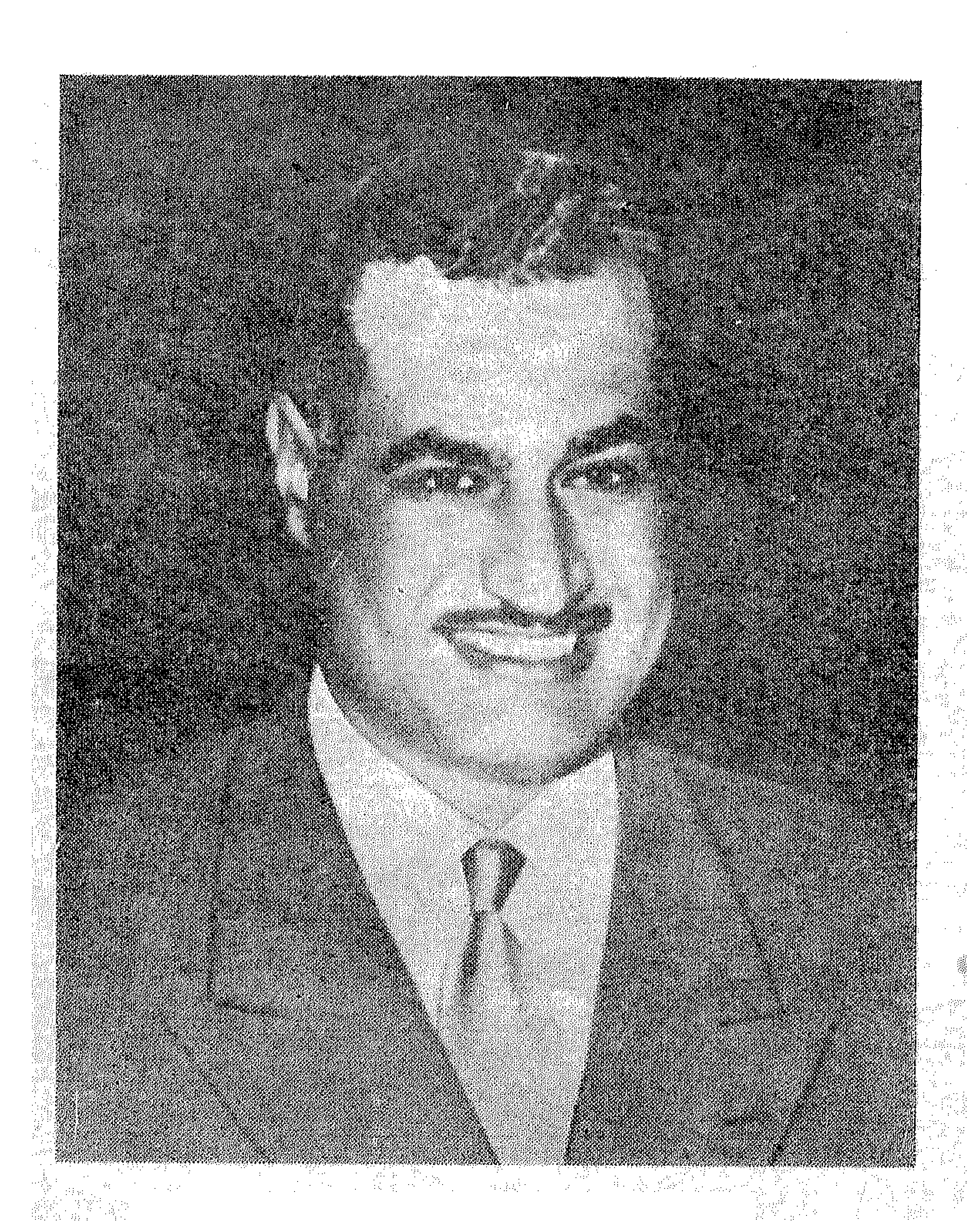

دراسات في الإسلام
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وزارة الأوقاف


# الحكيم الثائر
# جمال الدين الأفغاني

محمد سلام مع تشكراته واحتراماته


يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة

« ١٥ »
السنة الثانية
١٥ من شوال ١٣٨١ هـ
٢١ من مارس ١٩٦٢ م



« احفظوا المال فأنتم اليه أحوج ، ان الليث لا يعـــدم فريسته أينما ذهب » .

« جمال الدين »

« يخيل الى من حرية فكر السيد جمال الدين الأفغانى ونبالة قيمه وصراحته وأنا أتحدث اليه ، أننى أرى وجهـــا لوجه أحد من عرفتهم من القدماء الفلاسفة ، وأنى أشهد ابن سينا أو ابن رشد ، أو أحد أساطين الحكمة الشرقيين الذين ظلوا خمسة قرون يعملون على تحرير الانسانية » .

« رينان »
الفيلسوف الفرنسى

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

دفعني ما يجري الآن في الشرق من الحركات الوطنية المتشابهة الغرض والمتحدة الغاية الى دراسة الكثير من تاريخ الشرق الحديث لأتعرف بعض الأدوار التي تحرك فيها الشرق ضد الاستعمار، وأتبين مقدار ما وصل اليه من تلك الحركات القوية العنيفة .

وكان لزاما علي وأنا بهذا الصدد أن أبحث في حركات الشرق من الناحية الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية : ولنعبر عن هذا بكلمة مختصرة عامة . ولتكن النهضة الفكرية في الشرق .

والبحث عن النهضة يتطلب البحث عن منشئها لأن النهضات في الشعوب والأمم وليدة تفكير الفلاسفة والمصلحين ، وصفوة خواطرهم ، وزبدة تجاريبهم وجنى غرسهم .

واذا كانت النهضات في العالم جديرة بالبحث خليقة بأعمق الدرس . فمن الخطأ أن لا نحيط بتاريخ أولئك الأعلام . لأن الوقوف على سيرة أولئك النوابغ كاملة مستوفاة ، والاحاطة بتفاصيل حياتهم محللة مستقصاة ليست دون ذلك شيئا ولا أقل منه نفعا . اذ هي المنهاج الواضح لمقاصد حياتهم ، والمفتاح الصادق لمغالق أفكارهم ، والدليل البين في غامض معانيهم ، والبرهان الساطع في

بيان مراميهم ، بل تتبع سير المصلحين هو الشطر الأنفس من شطرى آثارهم ، والدائرة التى فيها محور جميع أعمالهم ، وحياتهم هى الجديرة بأن تكون محل دراسة وتحليل ـ وبحث وتمحيص ، فهى أحفل بالعبر الناطقة ، والعظات البالغة ، والأمثلة الحسنة والقدوة الصالحة من دراسة آثارهم •

**وتاريخ الاسلام يزخر بتيار حافل من رجالاته العظام الذين تركوا على ظهر الحياة آثارا خالدة فى شتى العلوم ، والفنون ، والسياسة ، والاجتماع ، والأدب • وكل شأن امتازت به الانسانية فى أدوارها التى مرت بها وأدركها عليها الاسلام •**

فلو عنى المسلمون بدراسة تاريخ عظمائهم دراسة تحليلية ليتبينوا منها مواطن العظمة لأخرجوا للناس تاريخا حافلا بشتى نواحى الشجاعة ، والحكمة ، والسياسة ، والحنكة • تعجز الحياة عن رؤية مثله عظمة وجلالا •

لهذا اشتد حرص الغربيين على التنقيب عن أخبار الماضين من جهابذة الكتاب ، وأعلام الفلاسفة ، وأساطين الحكمة • وظهر تنافسهم فى تحليل الشخصيات الكبيرة ، وكتابة التراجم عن زعمائهم ومصلحيهم ، وتعرف كل دقيقة وجليلة عن سير النابغين من أبناء أمتهم وغيرهم •

أما نحن معشر الشرقيين فلا نكاد نعرف عن زعمائنا ـ رحمهم الله ـ ولا عن قادتنا الأبرار الا النادر الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع • بل الكثير منا يقرأ الكتب ، والمؤلفات العديدة فى مختلف العلوم للفلاسفة ، والعبقريين كابن سينا ، وابن رشد ، والغزالى ، وغيرهم من العلماء الأمجاد •• ولا يكاد ـ مع الأسف ـ يعرف عن تاريخ أصحابها شيئا • كذلك نحفظ أسماء عظمائنا ، ونذكرهم بالفخر ، والاعجاب عند كل حركة سياسية ، أو ظاهرة وطنية • وجلنا لا دراية له بأطوار حياة هذا الزعيم وذاك القائد ، وذلك

الامام ، وما اكتنفها من مشقة وهوان حتى أصـــحاب المذاهب الاسلامية لم تكن لنا عناية بأمرهم ولا حفل بشأنهم مع أننا أحوج ما نكون الى ذلك فى اتخاذ المثل والتوجيه الصحيح •

**ولم نذهب بعيدا وهذا جمال الدين الأفغانى الذى نحن بصدده الآن نذكره فى مطلع كل ناحية من نواحى نهضـــتنا ، ونعترف له بالفضل الأول فى تحريك نفوس المصريين بل الشرقيين الى النهضة، وتطلعهم الى الحرية ، وقد كنا الى وقت قريب لا نكاد نعرف من أدوار حياته شيئا ، ولا يكاد يوجد عندنا فى كتب المؤرخين الشرقيين الا أسطر أو صفحات معدودة عن حياته •**

ولقد بلغ من اهتمام الغربيين بمعرفة تاريخ العظماء ، والنبغاء أن كتبوا عن السيد جمال الدين الشيء الكثير ضمن كتاباتهم وهذا تقدير منهم للمصلحين ، والمجددين يقابل بالثناء والاعجـــاب نود ـ نحن المصريين ـ أن توجد فينا هذه الروح الطيبة ونقتدى بهذه القدوة الحسنة حتى نظفر بأمانينا ، ونمشى قدما الى المجد جنبا الى جنب •

كل هذا دفعنى منذ عهد الطلب الى أن أتجه بهمتى ، وأقتطع من وقت الطالب المشحون بالدرس والاستذكار جزءا نفيسا من عمرى لهذه الناحية فأخرجت أول ما أخرجت سنة ١٩٣٧ كتابا عن شخصية ذات أثر خطير فى توجيهنا وتوجيه الشرق والمسلمين فى العصـــور الحاضرة الى الثورة العارمة على كل ضعف وتحلل ، واختـــلاف وتشعب • ألا وهو السيد جمال الدين الأفغانى ، باعث النهضـــة الفكرية فى الشرق ، وأستاذ مدرسة التحرر • وكان هذا أول كتاب مستقل ظهر عن السيد جمال الدين الأفغانى باللغة العربية •

ولما كان المجلس الأعلى للشئون الاسلامية قائما بأكبر قســط فى نشر الثقافات التى توقظ الوعى وطلب المشرفون عليه مشكورين أن أسهم بنصيبى معهم رأيت أن يكون أول ما أتقدم به هو أن أجدد

عهدى بالسيد جمال الدين الأفغانى فأخرج للناس زبد ما كتبت حين ذاك فى مقدار يتناسب مع الرسائل التى يخرجها المجلس حتى يوفقنى الله فأخرج عنه كتابا شاملا لأضعاف ما كتبته من قبل ، وخاصة أن مواده معدة لدى لا يعوزها أكثر من اعادة النظر فيهما بحسن التنسيق والترتيب . **ومن الفخر أن يتحدث المرء عن السيد جمال الدين ما وسعه الحديث** . فالتحدث عن تاريخ هذا الفيلسوف الحكيم يشرح الصدر ، ويغمر النفس بالفرح والاعجاب ، ولعلى أستطيع أن أرسم هنا صورة مصغرة تعطى لقراء هذا الموجز فكرة عن حكيم الشرق توضح لنا بعض ما كان عليه من الصفات النبيلة والأغراض الحكيمة .

**فلجمال الدين أثره البين فى نهوض الشرق ، وتطلعه الى الحرية ، فقد ظل الشرق زمنا طويلا يرزخ تحت نير العبودية ، ويرسف فى أغلال الاستعمار فلما جاء ( السيد جمال ) نفخ فيه روح اليقظة وأهاب بالأمم الاسلامية أن تطرح ذلك الجمود الفكرى . وتلك الأوهام التى ليست من الاسلام فى شيء ، والتى كانت سببا فى تأخر المسلمين فكان شأن جمال الدين فى الناحية الدينية مثل شأن « مارتن لوثر » فى الديانات المسيحية ، وكان شأنه فى الناحية الفكرية كشأن « جان جاك روسو » وغيره من فلاسفة الفكر ، وكان شأنه فى السياسة وتحرير البلاد من يد الغاصب مثل شأن « واشنطن ، محرر أمريكا ، و « مازينى » محرر ايطاليا ، وغيرهما من رجال السياسة .**

وبالجملة كان لجمال الدين فى كل ناحية من نواحى الاصلاح والتجديد أثر ظاهر وفضل لا ينكر .

فهو زعيم اسلامى بعثه الله ليجدد للاسلام حياته التى كانت زاخرة فى عهوده الأولى ، ويكون هذا أصدق شاهد على قول النبى – صلى الله عليه وسلم – « **ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** » .

فقد كان أول المجددين فى القرن التاسع عشر الحكيم القدير ، والمصلح العظيم والمجاهد الكبير ، والثائر الخطير جمال الدين سيد النابغين ، وأمير الخطابة والبيان فيلسوف الاسلام ، وآية الحق القاهرة ، وحجة الشرق الناهضة ، وكوكب الاصلاح الذى ظهر ساطعا فى آفاق الشرق بعد أن كان فى ظلام حالك . وقد شهد له كثير من المنصفين من الكتاب الغربيين . فهذا ( هنرى روشفور ) الكاتب الفرنسى الشهير يقول فى كتابه « ماجريات حياتى » .

« السيد جمال الدين من سلالة النبى والمعدود هو أيضا أنه أشبه بنبى .. ثم قال : — اننى شعرت نحو هذا الرجل بعاطفة الحب التى أجدها تربطنى بكل داع الى ثورة أو مقاوم لسلطة » !

**المؤلف**

# مـــولده

« محمد جمال الدين » بن السـيد « صفتر » ولد سـنة ١٢٥٤ هـ سنة ١٨٣٨م وقد تضاربت الروايات ، واختلف المؤرخون في منبته ومسقط رأسه .

فمن قائل انه فارسي من ايران ولد بقرية « همذان » وانما رحل الى الأفغان وانتسب اليها ليظهر بمظهر السنى لا الشيعى ، ويتخلص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها فى الخارج ، ولقد تمسك الايرانيون بهذا ، وحدثنى العالم الكبير الأستاذ « عبد الكريم الزنجانى » كبير رجال الشيعة ــ حينما زار مصر فى عام ١٩٣٧ ــ بهذا وضمنى مجلس من علية القوم مع « مرزا مهدى رفيع مشكى » وتحادثنا عن سيرة جمال ثم جرينا الحديث الى بلدته التى ولد فيها فأثبت لى أنه ايرانى من « همذان » وأطلعنى على بعض رسـائل من أقارب السيد يثبتون فيها أنه ايرانى .

والكثير من كتب التاريخ ، والأدباء الذين كتبوا عن جمال الدين ذهبوا الى أنه أفغانى من قرية «أسعد أباد» التابعة لمركز كنر من أعمال « كابل » عاصمة الأفغان وهذه هى الرواية التى اعتمدها تلميـذه وشريكه فى النفى والاضطهاد الأستاذ الامام ( محمد عبده ) فى صدر رسالة ( الرد على الدهريين ) ، وقد ذكر أمير البيـان « شكيب أرسلان » فى ( حاضر العالم الاسلامى ) أنه لقى فى المدينة قبل الحرب العامة بأشهر أحد ولاة أفغانستان ( السيد حسين ) من سادات

« كنر » المشار اليهم بالبنان وعلمت منـــه أن السيد جمال الدين منهم . كما أنى سمعت ذلك من جميع رجال الدولة الأفغانيـــة وسفرائها الذين جمعتنا بهم المقادير فى أوربا .

ومن العجيب أن يختلف المؤرخون فى مولده ومسقط رأسه مع عظمته وعلو شأنه . يقول المستر « بلنت » فى كتابه التاريخ السرى ص ٧٧ .

« السيد جمال الدين الأفغانى » لم تتجاوز تجاريبه العالميـة قبل حضوره الى مصر دائرة آسيا الوسطى ، وهو أفغانى المولد ، وتلقى تربيته الدينية فى « بخارى » .

ويقول « شارلز آدمز » فى كتابه الإسلام والتجديد :

« ولد السيد جمال الدين فى « أسعد أباد » بالقرب من (كابل) بأفغانستان » .

ويقول « جورجى زيدان » فى كتابه مشـــاهير الشرق ج ٢ ص ٥٢ :

« السيد جمال الدين ( بن السيد صفتر ) ولـد ببيت شرف وعلم بقرية « أســـعدأباد » من قرى كنر من أعمـــال كابل ببلاد الأفغان » .

ويقول شكيب أرسلان فى حاضر العالم الاسلامى ج ١ ص ١٩٩ :

« هل جمال الدين أفغانى مولود فى أفغانستان ؟ أم فارسى مولود فى همذان كما ذهب بعضهم » ورجح أنه أفغانى .

ويقول « عبد الرحمن الرافعى » فى تاريخ الحركة القومية عصر اسماعيل جـ٢ :

« ولد المترجم فى أسعدأباد احدى القرى التابعة لكنر من أعمال كابل عاصمة الأفغان »

ويقول « السيد رشيد رضا » فى كتابه تاريخ الامام جـ١ ص٢٧:

« ولد السيد جمال الدين فى قرية أسـعد أباد من قرى كنر وانتقل بانتقال أبيه الى مدينة كابل » .

ويقول محمد عبده فى صدر رسالة الرد على الدهريين :

« السيد جمال الدين من بيت عظيم فى بلاد الأفغان ، وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطة كنر من أعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام » .

ويقول « براون » فى كتابه الثورة الفارسية ص ٤٢٣ :

« ان جمال الدين أراد أن يعرف أنه أفغانى ليسهل حشره فى زمرة السنيين من المسلمين وليتخلى عن الحماية الفارسية التى كان يشك فى قيمتها »

والرواية الفارسية تذهب الى أنه ولد فى قرية بهـذا الاسم « أسعدأباد » بالقرب من همذان فى « ايران » والسبب فى تفضيله الانتساب الى أفغانستان لا يمكن الخوض فيه الا بطريق الحدس .

ويقول « مصطفى عبد الرازق » فى صدر العروة الوثقى :

هل جمال ولد فى « أسعد أباد » من قرى « كنر » من أعمـال « كابل » من بيت عظيم فى بلاد الأفغان ؟ أم هو قد ولد فى أسعد أباد قرب همذان من أعمال فارس ، وتعلم فى مدينة قزوين ومدينـة طهران ثم سافر الى الأفغان وليس أفغانى الجنس كما يزعم أهل السنة — أم أن والده من أهالى « مازندران » احدى ولايات ايران وكان ضابطا فى الجيش الايرانى أوفدته حكومته الى بلاد الأفغان لمهمة . فطابت له السكنى هناك وتزوج وولد له جمال الدين أو ولد له فى ايران وحمل معه صغيرا ؟ .

والذى يبدو لى فى منشأ هذا الخلاف أن الارتباط الوثيـــق بين الأمتين الايرانية ، والأفغانية ، والتجاور الذى يساعد على تبــادل المصالح ، ارتباط الأسر بعضها ببعض هو الذى جعـــل المؤرخين يختلفون فى مسقط رأس السيد جمــال الدين ، وهم متضافرون على أن السيد جمال الدين من أسرة عربية ينتهى نسبها الى سلالة النبى الكريم .

كما أنى أعتقد أنه أفغانى من « أسعد أباد » وأن له صلة نسب بالايرانيين مما جعل المؤرخين يختلفون فيه ، واليك ما قاله السيد جمال الدين نفسه فى كتابه « تتمة البيان فى تاريخ الأفغان » .

« الحق أن هذه الأمة من أصل ايرانى وأن لسانها مأخــوذ من لسان « زوندواستا » وهو لسان الفارسى القديم وله مشابهة تامة بالفارسية المســـتعملة الآن ، وأن متأخرى المؤرخين « كفرنسيس لوفرمان » وغيره يؤيدون هذا الرأى .

على أنه من المسلم به أن البلاد تتهافت على ضم عظيم لهـــا مستندة على أقل صلة ليكون لها من الفخار والشهرة ما يجعلها تعتز به على سائر الأقطار .

ومهما يكن فان تاريخ جمال قبل أن يأتى مصر يكاد يكون غامضا الا ما رواه جمال عن نفسه ، أو ما تلقفته الآذان من أهل فارس وأفغان . وذلك لأن الشرقيين فى عهد ركود النهضة لم يعنوا بتدوين تاريخ عظمائهم ، ولم يقدروا لهذا العمل قدره ولكن صفحاته من يوم أن وطئت قدماه أرض مصر بينة ظاهرة لا غموض فيها ولا خفــاء ، ولا يعنينا بعد هذا أن يكون السيد من ايران أو من أفغانستان لأن هذا الأمر لا أثر له فى حياة الحكيم ، وليست هناك نتائج تتوقف على اثباته ، كما أن جهاده وعمله فى الحياة بدأ بعد أن غادر بلاده واتجه الى مصر . فنحن نوافق الايرانيين على أنه ايرانى ونوافق الأفغانيين على أنه أفغانى ونوافق كل من يخطبه لنفسه بأنه منه فهو من بلاد الاسلام . فالاسلام وطنه وهذه دعوته التى قضى حياته فيها .

# نشـــأته

نشأ السيد جمال الدين من أبوين فقيرين ، الا أنهمـــا كانا ينتميان الى أسرة من أشهر البيوت فى شرف النسب وعلو الحسب حيث يتصل نسبهما ( بالترمذى ) المحدث ويرتقى الى ( الحسين بن على ) رضى الله عنهما ، فهـــو من الأشراف المنتمين الى الدوحة النبوية .

نشأ فى عاصمة أمة عزيزة النفس ، شديدة البـأس ، لم تذل لحاكم ولا لأجنبى ، وهى تعظم آل البيت النبوى وتتعلق به .. نشأ فى حكومة كان ذا مقام كبير فى بيت امارتها وركنا من أركان الزعامة لأحد الوارثين للحكم فيها وهو الأمير « محمد أعظم » .

وقد كان لأسرته مقام عظيم فى السياسة والسيادة اذ استقلت بالامارة على جزء من البلاد مدة طويلة حتى عهد « دوست محمد خان » أمير الأفغان الذى انتزع منها الأمارة وأمر بنقل أسرة جمال الدين الى كابل ، وكان جمال حينئذ فى الثامنة من عمره فأخذ يتلقى العلم فى مدرسة محلية . وظهرت عليه أيام تلمـذته مخايل الذكاء ونقاء الفطرة وبداهة القريحة فبرع فى علوم اللغـــة العربية ، وفى التاريخ العام والخاص ، وتفوق فى الكتابة والانشاء العربى وعـلوم الشريعة والفلسفة والرياضة والمنطق ونظريات الطب والتشريح .

وليس بغريب أن نقول : انه برز فى الفنون الحربية فقد قال عنه المستر « جورج كوتشى » :

« ان جمال الدين قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه النادر ، وميله الواضح الى كل ما له صلة بالفنون العسكرية » .

**ولم يقتنع الحكيم بكل هذا بل امتدت رغبته فى العلم والبحث حتى غادر الأفغان ذاهبا الى الهند مستهينا بكل ما يلاقى من عناء ومشاق .** وقد مكث بالهند سنة وبضعة أشهر أضاف الى علومه ومعارفه ما درسه من العلوم على الطريقة الأوربية ، وتعلم الانكليزية — كما تعلم الفارسية والتركية من قبل — وقد تلقى السيد جمال الفلسفة العربية القديمة والحديثة حتى استطاع أن يكون له رأى خاص فى العلوم العقلية وعلم النفس ، والأخلاق . وعلم الوجود والتكوين — ولقد ترعرع جمال الدين وتكون بين أحضان كتب الغزالى وابن قتيبة ، ويظهر ذلك لمن يطالع كتاباته فى العروة الوثقى والرد على الدهريين .

على أن السيد جمال كان ينتهز الفرص التى تمكنه من الانتقال الى مدن الهند وربوعها متعرفا أحوالها ، مستطلعا اخبارها ، اذ كان يمل البقاء فى مكان واحد لأنه بطبعه ميال الى الرحلات والأسفار . واستطلاع أحوال الأمم . والجماعات ودرس أخلاق الشعوب .

وبدا لجمال الدين وهو فى الهند أن يذهب الى الأقطار العربية ثم الى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج فرحل اليها منتقلا من بلد الى آخر فى الجزيرة العربية ليتعرف أحوال البلاد ، وعادات أهلها ، ويكشف عن أخلاقهم ، مما أكسبه خبرة فيما بعد بأحوال الأمة العربية وظل فى تنقله وترحاله حتى وصل الى مكة سنة ١٢٧٣ هـ ( ١٨٥٧ ) بعد سنة من قيامه من بلاد الهند .

وقد كانت فكرة الجامعة الاسلامية مختمرة فى نفسه ، ولم ير موضعا خصبا لابدائها سوى بيت الله المقدس حيث تجتمع الألوف العديدة من مسلمى الأقطار كافة ، فوجد بثاقب فكره أن هذا أكبر مؤتمر اسلامى ممثل تمام التمثيل يستطيع أن يجهر أمامه بدعوته

ليكون لها صدى فى قلوب المسلمين ، فلا يلبث أن يظهر أثرها سريعا فى الأقطار الاسلامية جميعها ، فلم يبرح بلاد الحجاز قبل أن يضع لدعوته غرسا طيبا وينقلها الى طورها العملى **بانشاء جمعيـة يمثل فيها كل قطر اسلامي تسمى جمعية (( أم القرى )) كانت أشـبه ببرلمان اسلامى كبير وقد أصدرت الجمعية مجلة باسمها ، وقد كان لهذه الجمعية فيما بعد شأنها وخطرها وكانت أول قنبلة يضعها جمال الدين فى وجه بلاد الغرب الجشعة .**

وبعد أن أدى السيد جمال فريضة الحج وبعد أن درس بلاد العرب ، وبلاد الهند دراسة وافية ، وبعد أن تعرف أخلاق وعادات ونظام تلك البلاد ، وبعد أن ترك أثرا خالدا فى بلاد الحجاز ـ عاد الى أفغانستان مكان انباته • وموضع غرسه •• عاد اليها عالما جليلا ، فاختطفته حكومته وضمته الى سلكها ، وكان أمير البلاد « دوست محمد خان » ولما أعد الأمير عدته وأخرج جنوده لمحاصرة ( هراه ) أخذ السيد جمال معه فى معيته .

حاصر الأمير ( هراه ) ليفتحها ويملكها على سلطان أحمد شاه صهره وابن عمه ، ولازمه السيد جمال مدة الحصار الى أن توفى الأمير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمنا طويلا . وتقلد الامارة ولى عهدها « شير على خان » •

ولقد وصل السيد جمال الى منصب كبير الوزراء فى عهد « محمد أعظم » وهو لم يتجاوز السابعة والعشرين حينئذ،وارتفعت منزلته فى نفس الأمير ، وعظمت ثقته به ، فكان يلجأ اليه فى العظائم وما دونها على خلاف ما تعوده أمراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم • وكادت تخلص حكومة الأفغان « لمحمد أعظم » بتدبير السيد جمال الدين لولا اسناد الأمير شئون الحكم الى أبنائه الأحداث وهم خلو من التجربة .

لم يرق انجلترا هذا النظام الذى صار عليه محمد أعظم ، وهذه السلطة الواسعة التى استخدمها فى ترقية جمال الدين وقد رأت فيه ما يزعج الاستعمار من النفور منه ، وتبينت فيه روحا حرة وثابة ، فعملت ـ كعادتها ـ على تعكير الجو بدس الدسائس ونشر الدعايات ضد « محمد أعظم » ، ولم تكتف بهذا بل حرضت « شير على » على محاربة أخيه . وقد أمدته فعلا بالميرة والذخيرة ، والمال والسلاح حتى انتصر ، وفر « محمد أعظم » الى ايران ومات بعد أشهر فى ( نيسابور ) .

**وبقى السيد جمال الدين فى كابل يكافح الدسائس ويكتشف المؤامرات التى تدبر لاغتياله وكان عظيما فى محنته ، ثابتا أمام العواصف التى تزعزع صم الجبال ، وتلك وايم الله لبارجة من بوارج القوة ، وظاهرة من ظواهر النفس العظيمة .**

نعم لئن كان السيد جمال الدين قد لاقى الأهوال فى هذه الفترة التى حمى فيها وطيس الحرب وظهرت فيها مكايد العدو فانه قد استفاد من هذه الحرب الخبرة الفنية والشجاعة الجندية فضلا عن كشفه سياسة انكلترا وأساليب الدس والتفريق التى عرفت بها . ولقد أثارت تلك الأساليب السياسية التى كانت موجهة ضد الحريات ما كان يكنه جمال الدين فى نفسه من العداء والبغض للاستعمار ودوله ، فأخذ يبث فى الشعب الأفغانى مبادىء الوطنية وروح الحرية مما ألب عليه الأمير « شير على » الذى كان يضمر له العداوة من حين تولى الامارة الا أنه كان لا يحب الظهور بها لمكانة جمال الدين فى نفوس الشعب ومخافة هياج العامة ضده فاحتال للغدر به .

لما شعر جمال الدين بما يدبر له فى الخفاء استأذن الأمير فى الخروج من البلاد متظاهرا أنه يريد الحج فأذن له

فترك السيد جمال الدين البلاد « لشير على » وأعوانه الانكليز ذاهبا الى الهند ــ مهد ثقافته وعلمه ــ للمرة الثانية بعـد هزيمة « محمد أعظم » بثلاثة أشهر سنة ١٢٨٥ هـ ( أواخر سنة ١٨٦٩ » فقوبل من الحكومة والأهالى بالحفـــاوة والاكرام ، الا أن الحكومة وجدت فيه نفسا متمردة على الاستعمار ودوله بما يبثه فى النفوس من الدعوة الى الحرية .

وما كان خافيا على الانكليز عداء السيد جمال لسياستهم وما ينتج من بقائه فى الهند من اثارة النفوس وخاصة لأن الهند كانت لا تزال تضطرم بالفتن اثر ثورة سنة ١٨٥٧ ولم يكن يخفى عليها أن فى دروسه واجتماعاته دافعا قويا للثورات ، ومحركا عظيما لما كمن فى النفوس .

لذا منعته الحكومة من دروس الدين والسياسة . ووضعت على اجتماعاته رقابة ، واستبدت به ، فحفت به الجواسيس من كل جانب .

استاء جمال الدين ، وتألم من تلك المطاردات .

**وهل يؤلم أكثر من أن يستبد بك من يسعى للعسف والظلـم وأنت تعمل للاصلاح والعدالة ؟! ولكن هذه هى سنة الله فى خلقه .**

ولهذا تجد أن دعاة الاستعمار يطاردون رجال العـلم وينكلون بهم ، فالسعيد منهم من يتمكن من مهاجرة دياره . وهذا سبب فى أن كل الأنبياء عليهم السلام وأكثر العلماء والأعلام » والأدباء تقلبوا فى البلاد وماتوا غرباء .

جال هذا بخاطر جمال وحاول أن يتغلب على صعابه ويخلص لبث دعوته ولكن قوة المستبد تقف فى وجهه لتحول بينه وبين أمنيته

. ولم يمض على مقام جمال الدين فى الهند أكثر من شهر حتى ضاقت الحكومة به ذرعا فأوفدت اليه مندوبا وكان عنده أكابر العلماء

والعظماء ، فخاطب جمال الدين قائلا : ان الحكومة الهندية كانت تساهلت معكم للاقامة نحو الشهرين ، ولكنها ارتأت أن حالة البلاد لا تساعد على بقائكم أكثر مما مكثتم ، فأراد الحاضرون أن يحتجوا على هذا الانذار فمنعهم جمال الدين ، وقال : « **انني ما أتيتت الى**

**الهند لأخيف حكومة بريطانيا العظمى ولا أنا على استعداد اليوم لأحدث شغبا عليها ، ولا أنتقد شيئا من أعمالها ، ولكن تخوفها من زائر أعزل مثلى ، ومصادرتها لزائرين هم أضعف منى يسجل عليها وهن عزيمتها وضعف شوكتها وقلة عدلها ، وعدم أمنها من حكمها ، وانها فى حقيقة حكمها لهذه الأقطار الشاسعة الواسعة أضعف بكثير من**

**شعوبها »** ثم التفت الى زائريه وقال : « يا أهل الهند . وعزة الحق وسر العدل لو كنتم وأنتم تعدون بمئات الملايين «ذبابا» مع حاميتكم البريطانيين ومن استخدمتهم من أبنائكم فحملوا سلاحها لقتل استقلالكم واستنفاد ثروتكم وهم بمجموعهم لا يتجاوزون عشرات

الألوف • لو كنتم أنتم مئات الملايين ــ كما قلت ــ « ذبابا » لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا ويجعل فى أذن كبيرهم وقرا ولو مسخكم الله فجعل كلا منكم سلحفاة وخضتم البحر وأحطتم بجزيرة بريطانيا لجررتموها الى قاعه وعدتم الى هندكم أحرارا •

فما أتم جمال كلامه حتى أذرف الحاضرون الدموع فقال اذ ذاك بصوت مرتفع :« **اعلموا أن البكاء للنساء ، ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت فى سبيل الاستقلال بثغر باسم** » ونهض مسرعا مع رجل الحكومة لكى يذهب معه حيث شاء فقال له : مهلا الآن فموعد سفرك غدا • قال جمال الدين الى أين تريدون أن أذهب • فقال : الى حيث

تشاء بعد أن تبارح الهند • ومع هذا فقد أبعدوه فى الصباح على احدى بواخرهم الى السويس كى لا يخرج من نطاق سيطرة الانكليز ولا يمكنه التحرر من قيودهم • .

وصلت الباخرة التى نزل بها السيد جمال الى السويس فى أوائل سنة ١٨٧٠ أواخر سنة ١٢٨٦ ومنها سافر الى القاهرة ولم يمكث بها الا أربعين يوما استطاع فيها ـ بقدرته العجيبة وذكائه المفرط ـ أن يتعرف الكثير من عادات المصريين وأخلاقهم وسياسة بلادهم الداخلية . وقد تردد على الجامع الأزهر خلال هذه المدة ، وتقرب اليه كثير من الاساتذة والطلاب ، واتصل به جمع غفير من علية القوم وأصحاب الكلمة .

ولقد ذكر الامام محمد عبده لتلميذه السيد رشيد رضا : أن الذى أخبره بقدوم السيد جمال هو أحد طلاب العلم السوريين فى رواق الشوام قال : انه قدم مصر عالم أفغانى عظيم وهو يقيم فى خان الخليلى ، فسررت لذلك وأخبرت الشيخ حسن الطويل ودعوته الى زيارته معى ، فألفيناه يتعشى هو وخادمه أبو تراب ، فدعانا الى الأكل معهما فاعتذرنا ، فطفق يسألنا عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم يفسرها لنا ، فكان هذا مما ملأ قلبى اعجابا وشغفنى به حبا .

وكان فى نية السيد جمال السفر الى الحجاز والاقامة به ليرى غرسه ويباشر عمل جمعية ( أم القرى ) التى أنشأها عند زيارته الأولى للحجاز ، ويتمتع بذلك الجو الخالى من دنس الأجنبى ، وينعم بالحرية التامة فى بلاد أمنت غارات المستعمرين وطمع الطامعين . واطمأنت على نفسها من هجمات الأعداء بما وهبها الله من الحصون الطبيعية التى تنحسر عنها فلول الجاشعين ، فضلا عما كان يراه فى هذه البلاد من نمو دعوته وذيوعها بين المسلمين عامة فى هذا البيت العتيق المقدس .

وبينما هو يعد عدته للسفر الى الحجاز اذ بالخليفة يستدعيه الى الآستانة لما وصل الى مسامعه من مكانة السيد وعلو شأنه بين المسلمين ، ولما عرف عنه من الميل الى توحيد كلمة المسلمين وجمع

شملهم بتأسيسه ( جمعية أم القرى ) بمكة : فلم يسع السيد جمال الدين الا أن يترك ما قدره جانبا ويتبع ما قدرته له الأقدار . وما خطته له القوة العلية ، وأن يذعن لارادة السلطان ويجيب أمره ..

سافر السيد جمال الى الآستانة سنة ١٢٨٧ سنة « ١٨٧٠ » واستقبلته الحكومة استقبالا حسنا ، وقد أكرم السلطان عبدالعزيز وفادته ، ورحب به الصدر الأعظم « عالى باشا » وسائر الوزراء والعظماء ، والتف حوله العلماء والأدباء . ونزل منهم منزلة عالية ، وتناقلوا الثناء عليه ، ودعاه السلطان الى مجلسه . فلما مثل بين يديه — وكان السيد معتزا بأفغانيته وزيه — قابله السلطان بالبشاشة ، وقربه اليه ، وأخذ يستفسر منه عن أحوال الأفغان وسائر البلاد التى رحل اليها ، ويستطلع رأيه الدينى والسياسى . فكانت اجابات السيد محكمة رصينة تدل على عقل جبار ، ونفس أبية ، واخلاص للاسلام والمسلمين ، وقد دعاه السلطان مرات عديدة كان السيد فى جميعها موضع اعجاب السلطان وثنائه .

ثم رأى الخليفة أن من الحكمة الانتفاع بمواهب السيد فى أعماله الرسمية فأمر بتعيينه عضوا فى مجلس المعارف بعد ستة أشهر من وصوله الى الآستانة .

وقد ظهر السيد فى وظيفته هذه — وهى أول وظيفة رسمية له خارج بلاده — بتعاليم جديدة واصلاحات للمناهج مفيدة ، ترضى الله والوطن وان أغضبت الخائنين للأمة ، والمنافقين الذين يعيشون بلا ضمائر .. وقد تزعم هؤلاء « حسن افندى فهمى » شيخ اسلام تركيا فى ذلك الوقت الذى كان يرى فى تعاليم جمال الدين مساسا برزقه وتحديدا لسلطته . فأضمر لجمال الدين السوء ، وتربص به الدوائر للنكاية به ، والتقليل من شأنه ، فكان لا يظهر رأى للسيد

جمال الدين فى الصحف وفى الاجتماعات حتى ينقده شيخ الاسلام نقدا غير برىء يبدو فى طواياه المكر والحقد والعداوة والبغضاء ٠

وفى رمضان سنة ١٢٨٧ « ديسمبر سنة ١٨٧٠ » تقدم الى السيد جمال الدين « تحسين أفندى » مدير دار الفنون راجيا منه أن يلقى خطابا للحث على الصناعات ، فاعتذر السيد عن اجابة طلبه محتجا بضعفه فى اللغة التركية ٠ وبعد الحاح شديد أجاب السيد دعوته ، وألقى محاضرة قيمة ، وصفها الامام محمد عبده فى صدر رسالته الرد على الدهريين اذ يقول :

« لما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون ، واحتفل جم غفير من رجال الحكومة وأعيان أهل العلم وأرباب الجرائد ، وحضر فى الجمع معظم الوزراء ، وصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة وألقى ما كان قد أعده وأرسل « حسن أفندى فهمى » أشعة نظره فى تضاعيف الكلام ليصيب منه حجة للتمثيل به وما كان يجدها لو طلب حقا ٠

كان الخطاب فى تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حى ، وأن كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدى من المنفعة فى المعيشة ما يؤديه العضو فى البدن ، فشبه الملك مثلا بالمخ الذى هو مركز التدبير والارادة ، والحدادة بالعضد ، والزراعة بالكبد ، والملاحة بالرجلين ، ومضى فى سائر الصناعات والأعضاء حتى أتى على جميعها ببيان ضاف واف ، ثم قال : هذا ما يتألف منه جسم السعادة الانسانية ، ولا حياة لجسم الا بروح ٠ وروح هذا الجسم اما النبوة واما الحكمة ٠ ولكن يفرق بينهما بأن النبوة منحة الهية لا تنالها يد الكاسب ، يختص الله بها من يشاء من عباده والله أعلم حيث يجعل رسالته ٠ أما الحكمة فمما تكتسب بالفكر والنظر فى المعلومات ، وبأن النبى معصوم من الخطأ ، والحكيم يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه ٠ وأن أحكام النبوات آتية على ما فى علم الله

لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فالأخذ بها من فروض الايمان . أما آراء الحكماء فليس على الذمم فرض اتباعها الا من باب ما هو أولى والأفضل على شريطة ألا تخالف الشرع الالهى .

هذا ما ذكره متعلقا بالنبوة وهو منطبق على ما أجمع عليه علماء الشريعة الاسلامية الا أن « حسن أفندى فهمى » أقام من الحـــق باطلا ليصيب غرضه من الانتقام ، فأشاع أن الشيخ جمـال الدين زعم أن النبوة صنعة واحتج لتثبيت الاشاعة بأنه ذكر النبـــوة فى خطاب يتعلق بالصناعة » .

نعم لم يرق هذا الخطاب شيخ الاسلام لما كان فى نفســه من الحقد على جمال الدين فرماه بالزيغ فى العقيـــدة وأوعز الى بعض الصحف بذكر ذلك وألب عليه الوعاظ فى المساجد .

فانبرى السيد جمال الدين للدفاع عن نفسه ، وطلب محاكمة شيخ الاسلام ، فأشار بعض أصحاب السيد عليه أن يلزم السكون ويغضى على الكريهة وطول الزمان كفيل باضمحلال الاشاعة وضعف أثرها ، فلم يقبل ولج فى طلب المخاصمة وقامت الصـــحف الحرة بدورها مؤيدة لجمال الدين منتصرة لرأيه ، وكانت حرب قلميـــة ثارت عجاجتها بين شعب الآستانة ، ولكن الحكومة انحازت لشيخها وانتهت بصدور الأمر الى جمال الدين بالرحيل عن تركيا حتى تسكن الخواطر وتهدأ النفوس وأشار عليه محبوه بالعودة الى مصر فعـاد اليها فى ظل هذا الاضطهاد الدينى المفتعل . ولكن بعد أن بذر بذور الاصلاح التى أثمرت بعد قليل من الزمن ، اذ سرعان ما قامت نهضة اصلاحية عامة أجمع فيها العظماء على المطالبة بالاصلاح الدينى .

وهذا هو الجزء الدينى فى الحركة السياسية التى قدر أن تنتهى بالثورة التى قام بها مدحت باشا سنة ١٨٧١ وكان من أثرها تلك النهضة التى شملت تركيا وجعلتها فى مصاف الدول الراقية .

وفى يوم رحيله من الآستانة مبعدا ذهب وفد من العلماء والأصدقاء لتوديعه فاشتط أحدهم غضبا فى خطابه واحتجاجه على شيخ الاسلام بما مس كرامة الدين فوقف عند ذلك السيد جمال غاضبا وقال : « ليس خطأ أراه أكبر من مس كرامة الدين لمجرد عمل يأتيه فرد من تابعى ذلك الدين . وأعتقد أن الهيأة البشرية لا يمكنها الاستغناء عن السلطتين الزمنية والروحية . نعم يمكن أن يطرأ على أحدهما خلل ليس فى أصل الوضع . فيجب العمل على اصلاح هذا الخلل والوقوف بوجه من أخل وارغامه على الرجوع الى الأصل ، ثم قال : السلطة الزمنية بمليكها أو سلطانها انما استمدت قوتها من الأمة لأجل قمع أهل الشر وصيانة الحقوق ، أما اذا أودعت هذه السلطة بيد غر عات وقال أعوانه مشيئة الملك قانون المملكة فانه يجب على الأمة وقوفها تجاههم لأن ارادة الشعب هى فى الحق قانون ذلك الشعب .. ثم قال وكذلك القول فى السلطة الروحية وأعنى بها ما لكل دين من النفوذ المعنوى على من يدينون به .. فاذا سار الدين فى غايته الشريفة حمدته السلطة الزمنية ، واذا سارت السلطة الزمنية فى الغاية المقصودة منها وهى العدل المطلق فالسلطة الروحية حمدتها وشكرتها ولا تتنافر هاتان السلطتان الا اذا خرجتا عن المحور اللازم لها » .

وكانت هذه آخر كلمة قالها السيد جمال وفارق على أثرها الآستانة فحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر .

## جمال الدين فى مصر :

سبق أن ذكرنا أن جمال الدين جاء مصر منفيا عقب اضطهاده السياسى من انكلترا فى الهند ، والآن يدخل جمال الدين مصر للمرة الثانية منفيا أيضا وذلك فى أول محرم سنة ١٢٨٨ ( ٢٢ من مارس سنة ١٨٧١ ) اثر اضطهاده الدينى من رجال الدين فى تركيا .

ومن الطبيعي أن يكون لهذا الاضطهاد أثره في نفس جمال وأن يترك في قلبه نارا متأججة بالغضب ، والسخط ، والثورة على الجمود الفكرى والتأخر العقلى ، فجاء السيد الى مصر مفرجا عن نفسه من ذلك العناء الذي لحقه في حياته من جراء دعوته الى الاصلاح ، وتلقين الناس مبادىء الحرية .

**ففي الأفغان أبت نفسه الحياة في جو ملىء بالدس والمكايد ، وفي الهند وقفت له انكلترا بالمرصاد تراقب حركاته وترسل حوله العيون والجواسيس ولم تلبس أن نفته الى مصر .. وفي الآستانة يجد من رجال الدين الأعداء الألداء !**

نعم جاء السيد جمال الى مصر عساه أن يحظى بقسط من الراحة والاستقرار ، ويظفر بالهدوء وطمأنينة البال ، ولكن أنى ذلك لرجل مثل جمال خلقت نفسه للكفاح والنضال والجهاد في ترقية الانسانية ! وكيف له أن يقيم بمصر مطمئن الخاطر وعلى مرأى ومسمع من تلك المظالم الفادحة وذلك الانحطاط العام في الفكر والسياسة والدين ! فعز عليه أن يكون بمصر وهي على هذه الحالة خصوصا وأن المصريين فيهم الاستعداد للاصلاح ، وفي نفوسهم التطلع الى الحرية والحياة السعيدة ..

حضر السيد الى مصر ولم يكن في عزمه الاقامة بها طويلا .. غير أن ما وجده من أهلها وحكومتها من الحفاوة والاكرام حبب اليه البقاء فيها ، ورغب اليه العمل فوق أرضها وتحت سمائها . اذ لم يكن يتوهم أن « رياض باشا » وزير « اسماعيل » في ذلك الوقت يحتفي بالسيد هذا الاحتفاء ويرحب به ذلك الترحيب ، ولم يكن ينتظر أن حكومة اسماعيل ترعاه هذه الرعاية وتجرى عليه مرتبا قدره مائة وعشرون جنيها ( ١٢٠ ج ) في السنة مكافأة له وتقديرا لفضله ..

نعم لم يكن ينتظر هذا ولا أقل منه فى ظل حكومة استبداديه تعرف أن لجمال آراء لا تتفق مع استبدادها ومبـــادىء لا ترغب فيهـــا ..

ما كان ينتظر أن يتقبله الخديو وهو يعرف ما لجمال الدين من خطر على سياسته ، ويعرف ما لدروسه الدينية ، ودعوته الوطنية من أثر كبير فى نفوس شعبه ..

وهنا موضع للتساؤل عما حمل الخديو اسماعيل على استمالة الحكيم الأفغانى للاقامة فى مصر واكرام مثواه ، فقد يبدو هذا العمل غريبا لأن لجمال الدين ماضيا سياسيا ، ومجموعة أخلاق ومبادىء لا يرغب فيها الملوك المستبدون ، ولم يكن السـيد من أهل الملـق والادهان فينـال عطفهم ورعايتهـم ، ويجروا عليـه الأرزاق بلا مقابل . ولكن الأمر لا يعسر فهمه اذا عرفنا أن شخصية ـ جمال الدين ـ العلمية ، وشهرته فى الفلسفة أقوى ظهورا ـ وخاصة فى ذلك الحين ـ من شخصيته السياسية .

أما آراء الحكيم السياسية وكراهيته للاستبداد ونزعته الحرة فلم يكن مثل اسماعيل يخشاها أو يحسب لها حسابا كبيرا لأنه فى ذلك الحين سنة ١٨٧١ كان قد بلغ أوج سلطته ، فكان يحكم البلاد حكما مطلقا يأمر وينهى ويتصرف فى أقدار البلاد ومصـــاير أهلها دون رقيب أو حسيب ، وكان مجلس شـــورى النواب آلة مطواعة فى يده ، والصحافة فى بدء عهدها تكيل له عبارات المـدح وتصوغ له عقود الثناء ، ولم يكن سلطانه قد استهدف بعد للتدخل الأجنبى لأن هذا التدخل لم يقم الا فى سنة ١٨٧٥ ، فليس ثمـــة ما يخشى منه اسماعيل على سلطته المطلقة من الناحية الداخليـة أو الخارجية حين رغب الى حكيم الشرق الاقامة والتـدريس فى مصر ، وقد بدأت النهضة التى ظهرت على يد السيد علمية أدبيـــة ، ولم تتطور الى الناحية السياسية الا حوالى سنة ١٨٧٦ على أنهـــا فى

تطورها السياسى لم تتجه ضد اسماعيل بالذات ، بل اتجهت رأسا ضد التدخل الأجنبى ٠٠

وثمة اعتبار آخر لا يفوتنا الالماع اليه ٠ ذلك أن جمال الدين قد بارح الآستانة اذ لم يجد فيها جوا صالحا للنهضة العلميـــة والفكرية ، وقصد الى مصر وقد سبقته اليها أنباؤه ، وما لقيه فى دار الخلافة من العنت والاضطهاد ٠ وكان اسماعيل ينافس حكومة الآستانة فى المكانة والنفوذ السياسى وينظر اليهـــا بعين الزراية ولا يرضى لمصر أن تكون تابعة لتركيا ولا أن يكون هو تابعا للسلطان العثمانى ، وليس خافيا ما كان يبذله من المساعى للانفصـــال عن تركيا فى ذلك الحين وظهوره بمظهر العاهل المستقل فى معـرض باريس العام سنة ١٨٦٩ وعزمه على اعلان استقلال مصر التام لولا العقبات السياسية التى اعترضته ٠ ولا يعزب عن الذهـــن ما كان بين الخديو والسلطان من مظاهر الفتور والجفاء التى كادت تقطـع الروابط بينهما ٠٠

فى هذا الجو هبط جمال الدين مصر مبعدا من الآســـتانة ، واستطاع أن ينشر رسالته فى مصر بوساطة تلاميـذه الذين كانوا يفدون الى منزله من الأزهر وغيره ، وقد بلغ عددهم نحو الثـــلاث مائة ، وكانوا من صفوة أبناء الأمة ونبغائها ، ولم يلبث أن كان له أنصار ومحبون يتعشقون دروسه ويحبون الاستماع اليـــه فى حديثه ، ويغبطونه على ما وهبه الله من رجاحة العقـــل وحصافة الرأى ، ويلازمونه فى الرواح والغدو ، وكانوا له لسان مدح وثناء عند الناس أجمعين ٠

والذى ظهر لنا فى بادىء الأمر أن الشيوخ المحـــافظين لـم تجتذبهم مبادىء جمال الدين ، وتعاليمه الدينية وان راقت فى أعينهم مبادؤه السياسية التى عرف بها ٠

وكانت مبادؤه الدينية مقبولة لدى طبقة المتأثرين بالحضارة الغربية وكان العدد الأكبر من تلامذته من أصحاب المناصب العالية فى القضاء ، أو أساتذة المدارس العالية ، أو رؤساء المصالح الحكومية •• وان كان بعضهم أو جلهم قد تعلم فى الأزهر غير أنهم كانوا ممن تلقوا شيئا من علوم الغرب ••

وقد يبدو عجيبا من أول الأمر أن يكون هؤلاء أكثر تلاميذ السيد ، ولكن ينقطع عجبنا اذا ما عرفنا أن للمصريين عذرا حين ذاك لأنهم كانوا من العنصر المحافظ الذى لا يقبل البحث أو التجديد أو المناقشة فى أصول الدين أو فروعه ، وخطة جمال التى كان يسير بها ، هى أن يخاطب الدين العقل مؤيدا بالأدلة والبراهين ليس معتمدا على النقل وحده ••

غير أن النابهين من الأزهريين لم يلبثوا أن سارعوا الى جمال مغترفين من بحر علمه بعد أن فهموا أغراضه وأفكاره التى كانت لا تختلف مع الدين فى شىء ، فحملوه على تدريس الكتب العلمية فى فنون الكلام ، والحكمة النظرية • طبيعية ، وعقلية ، وفى علم الهيأة الفلكية ، وعلم التصوف ، وعلم أصول الفقه الاسلامى •

وفى عام قدوم السيد جمال الدين الى القاهرة انتسب سعد زغلول الى الأزهر ولم يتوان فى الذهاب الى السيد جمال وايثار درسه • فتلقى عنه مبادىء الحرية والاصلاح ، فاشترك فى حركة الاصلاح التى أثارها السيد جمال بالقسط الذى استطاع أن يقوم به فى أثناء الدرس والطلب • فألف جماعة من اخوانه الطلاب أمثال اللقانى ، وأبى خطوة ، وعبد الكريم سلمان ، وأديب اسحق لاصلاح الأزهر وكتبوا منشورا وعلقوه فى سواد الليل على أعمدة الأزهر بينوا فيه مواضع الخلل ووسائل العلاج التى تنجع فى اصلاحه •

وفي ذات يوم استكتب السيد جمال تلاميذه موضوعا عن الحرية فكان سعد أكثر اخوانه اجادة فقال السيد « هذا بغيتي ! » وقال ٠

« مما يدل على أن الحرية ناشئة في مصر أن يجيد في الكتابة عنها مثل هذا الناشيء » ٠

بهذا الأسلوب فتح السيد جمال الدين أذهان المصريين الى البحث والتفكير ، وبين لهم طريق الاستنتاج والاستنباط ، وكان جمال يسحر سامعيه بعلمه الغزير وحديثه العذب وتعليقه الممتع على الموضوعات المختلفة ، ويجود بحكمته على كل من حضر مجلسه ٠

وهكذا أخذ السيد جمال الدين يواصل تعاليمه ، ويبذر بذور العرفان على تلاميذه في مختلف العلوم والفنون ، حتى انه لما شعر بضعف النهضة الأدبية دفعته الرغبة الشديدة الى تشجيع تلاميذه على القراءة في كتب الأدب ، ليستقيم أسلوبهم ، وتقرب عباراتهم الى الفصاحة والبيان ، ليستطيعوا بعد ذلك أن يكتبوا في الصحف ما يعن لهم من الأغراض لصالح الأمة وخير الوطن ٠ وبهذا تم لجمال الدين ما كان يرجوه من وجود كتاب لا يشق لهم غبار ، وعلماء يشار اليهم بالبنان كان في طليعتهم :

الشيخ محمد عبده ، الشيخ عبد الكريم سلمان ، ابراهيم اللقاني ، السيد وفا القوني ، وسعد زغلول ، وعبد الله نديم ، وقاسم أمين ، وابراهيم المويلحي ، محمد المويلحي ، حفني ناصف، الشيخ بخيت ، الشيخ عبد الرحمن قراعة ، الهلباوي ، وابراهيم العجمي الصحفي المعروف ، والحاج احمد شفيق ، وثلة من أدباء الشام النازلين بمصر مثل : أديب اسحق ، وسليم النقاش ، وسعيد البستاني ، وسليم العنجوري ، وخليل اليازجي وغيرهم الكثير لا يتسع المقام لذكرهم ٠

فاندفع مريدوه وحملة علمه يكتبون ويخطبون وينشرون على الملأ ما التقطوه من فوائده ، وانتظموه من فرائده ، وكان ذلك لسانا عاليا لا عهد للناس بأمثاله ، وأسلوبا راقيا انقطعت منذ قرون عديدة نسبة رجاله ، فأحدث فى الأمة حركة أفكار لم تكن من قبله ، ونفخ فيها روحا سرية ظهر عليها طابع عرفانه وفضله ، فنشطت همم ، واستجدت عزائم ، وهبت قوى ، وفاضت قرائح .

ولقد قام السيد جمال بحركة سياسية لا تقل شأنا عما قام به من الحركات العلمية والأدبية ـ والعلم والسياسة توأمان ، قلما نشر العلم فى مكان الا وهتف بالحرية ..

وكانت مصر فى هذه الآونة تجتازها أزمات مالية شديدة ، وتسير الى الهوة السحيقة بسبب التدخل الأجنبى الذى جاء عن طريق الاستدانة من الدول لجعل مصر قطعة من أوربا مما سبب ارتباك الدولة واستيلاء الأجانب على مواردها . وبالأحرى مما جعل للانكليز مسلكا للتدخل فى شئون مصر والتحكم فيها .

الا أن هذا العمل وهذه القروض وما يتبعها من تساهل فى شروط القرض ، وما استلزمته من التنازل عن الكثير من الحقوق .. كل هذا قد ساء جمال الدين الذى كان من مبدئه رفض أى تدخل أجنبى مهما صغر ، فسرعان ما اتجه بتلاميذه الى الناحية السياسية، ونبههم الى مضار التدخل الأجنبى والرقابة الأجنبية وبقى واياهم على يقظة من أعمال الحكومة .

أخذ النفوذ الأجنبى يسيطر على البلاد ، وأصبحت الكلمة لهم ، وفى خلال عام ١٨٧٨ زاد مركز السيد جمال الدين خطرا فى البلاد ونظرت له الحكومة والوالى نظرة خوف وحذر لأنه تدخل فى السياسة وتولى رياسة جمعية الماسون العربية ، وصار له أصدقاء وأولياء من أصحاب المناصب العالية مثل البارودى وعبد السلام

المويلحى النائب المصرى ، وابراهيم المويلحى ، وعلى مظهر ، والشاعر الزرقانى . ثم تغيرت لهجة السيد جمال وتضاعفت همته واتسع زمن تدريسه ، فبعد أن يقضى بياض نهاره فى داره يخرج متوكئا على عصاه الى قهوة « البوستة » وهناك يجلس فى الصدر ، ويلتف حوله تلاميذه ومحبوه فيناقشهم فى الأحوال السياسية وما يتطلبه موقف مصر حين ذاك وما جلبته القروض على البلاد من الخراب والدمار وما عسى أن تسببه من توسع التدخل الأجنبى .

شرع السيد يقرب العوام اليه ويفسح صدره لهم ، بينما كان يقابل الحكام وذوى الكلمة بالشدة والأنفة والعزة ، فعرف بشأنه كثير من العامة والخاصة وتقربوا من مجلسه ، فأخذ يستعيض بدروس الفلسفة والعلم محاضرات فى السياسة والحرية والوطنية وكان يقول لهم مستنهضا هممهم ما معناه :

**« انكم معاشر المصريين قد توالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين تسومكم حكوماتهم الحيف والجور ، وتنزل بكم الخسف والذل ، وأنتم صابرون ، وتنتزف قوام حياتكم ومواد غذائكم المجموعة بما يتحلب من عرق جباهكم بالمقرعة والسوط وأنتم فى غفلة .. تناوبتكم أيدى الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأتراك والماليك ثم الفرنسيس والماليك والعلويين وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ، ويهيض عظامكم بأداة عسفه ، وأنتم كالصخرة الملقاة فى الفلاة لا حس لكم ولا صوت . أنظروا أهرام مصر ، وهياكل منفيس ، وآثار طيبة ، ومشاهد سيوة ، وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم .**

**وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ... ان التشبه بالرشيد فلاح**

**هبوا من غفلتكم ، واصحوا من سكرتكم ، وانفضوا عنكم غبار الغباوة والخمول وعيشوا كباقى الأمم أحرارا ســعداء ، أو موتوا مأجورين شهداء .. »**

فجمعت كلمتهم على الفكرة التى تقدم بها بعض المجتمعين وهى تأليف هيأة منهم تسمى الحزب الوطنى كما ألفت من بعض النواب وبعض المجتمعين جمعيات سرية وغير سرية .

وعلى لسان هذا الحزب ، وهذه الجمعيات جرت لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث كلمة ( مصر للمصريين ) التى كانت مبدأ من مبادئهم .

وما زال جمال الدين نشيطا فى دعوته فهيأ تلاميذه المشتغلين بالسياسة لحب الحرية ، وبث فى نفوسهم روح الغيرة والشهامة ، وحارب فيهم صفة الذل والمسكنة ، وذكرهم بحقوقهم المهضومة ، ووطنهم المغتصب ، وضـــميرهم المســتعبد ، ومالهم المنهوب ، وقوميتهم المحتقرة ، ودينهم المهجور .. فحرك فيهم عرق الحيــاة فانفجرت بتعاليمه تلك البراكين الثائرة التى تجلت فى المجــالس النيابية وفى الصحف فى ذلك الحين .

على أن السبب الأول فى تحقيق دعوة الحكيم وفلاحها هــو ذلك الاستعداد الفطرى الكامن فى نفوس المصريين . فقـــد لاقت دعوته آذانا واعية ، وعقولا ناضجة ، وروحا عالية وثابة الى المجد والرفعة ، ولولا رغبة المصريين فى التخلص من يد الأجنبى والنهوض بلدهم الى المكان اللائق بها لخمدت دعوة جمال الدين ولما ظهــر لها أثر . لمقاومة الانكليز لدعوته ، وحقد بعض العلماء عليه ..

ولقد كان طبيعيا أن يقاوم جمال الدين من انكلترا لآرائه الحرة التى تتنافى مع سياسة الاستعمار ـ ونشاطه الفائق وشـــجاعته وجرأته التى يصدم بها الانكليز ويكشف طواياهم ومخبآتهم .

ولقد كان طبيعيا أيضا أن يقاوم السيد جمال الدين من بعض جماعة العلماء ومختلف رجال الدين اما لجمودهم وعدم تعقلهم الدين ، وأما لحقدهم وعدم رضائهم عن ظهور عظيم بينهم تملأ شهرته الآفاق وتكون له فى النفوس أسمى مكانة .

فقام جماعة المحافظين على القديم بدون تفكير واشعلوا حربا شعواء على آراء جمال الدين المتطرفة فى نظرهم المعتدلة فى نظر الحق الخارجة عن الدين فى رأيهم والتى هى من صميم الدين فى رأى الشريعة ، واتخذوا من دروسهم سبيلا للطعن عليه محتجين بقراءته لبعض الكتب الفلسفية أخذا بقول جماعة من المتأخرين فى تحريم النظر فيها — على أن القائلين بهذا القول لم يطلقوه بل قيدوه بضعفاء العقول قصار النظر خشية على عقائدهم من الزيغ . أما الثابتون فى ايمانهم فلهم النظر فى علوم الأولين والآخرين من موافقين لمذاهبهم أو مخالفين ، فلا يزيدهم ذلك الا بصيرة فى دينهم وقوة فى يقينهم ولنا فى أئمة الملة الاسلامية ألف حجة تقوم على ما نقول .

ولكن تمسك الحاسدون من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأى هذا الرجل وأذاعوا ذلك بين العامة ، ثم أيدهم أخلاط من الناس من مذاهب مختلفة كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون ما لا يفهمون ثم يحرفون فى النقل عنه ولا يشعرون » .

وما كانت تعاليم جمال الدين وأبحاثه فى العقيدة الا عن طريق العقل والتفكير فى الكون وما وصله بحثه العقلى الى مخالفة ما جاء فى النقل بل وافقه فى كل شيء اللهم الا ما افتراه المبتدعون وادعاه الداخلون فى الدين وما هم منه فى شيء . وكثيرا ما يكتفى الكسول وضعيف القوة فى الجدل بأن يقذف بكلمة باطلة على حق ظاهر يريد أن يدفعه فيقول تلك بدعة فى الاسلام ، وما يريد بهذا الا حب التخلص من مشقة الفهم أو الخروج من عناء العمل فى البحث .

قام العلماء فى وجه السيد جمال الدين وأعلنوا عداءهم لـه وقد نمى فى نفوسهم العداوة له بغض الانجليز للسيد وعدم ارتياحهم لوجوده فى مصر وخاصة بعد أن وقف النواب وبعض العلماء والشعب فى جانبه .

ثم عزل اسماعيل وولى توفيق لكن بعد أن جعل للأجانب يدا قوية فى البلاد ورأيا نافذا فى الحكم .

وبتولية توفيق ظهرت بارقة من الأمل للسيد جمال الدين لأنه ظن أنه اتعظ بما جرى لأبيه .

ظن السيد أن توفيق هو المحقق لرغباته لما أظهره من ميلـه للحكم النيابى آن أن كان معه فى جماعة الماسون .

ولكن مع الأسف سرعان ما تهدمت صروح آمال السيد جمال الدين بعد تولية توفيق .

ارتقى توفيق العرش ووجد نفسه بين قوتـين متناقضتى الغرض . قوة أصدقائه المصلحين الذين أخذوا يحثونه على الوفاء بوعد كان أصدره لهم من قبل بتحقيق الحياة النيابية فى مصر . وقوة القناصل التى تمنع من أن ينزل عن شىء من سلطته التى كانوا يريدون الانتفاع بها ..

تسلم الخديوى توفيق زمام الحكم ففوجىء بهاتين القوتـين

فاختار لنفسه أن يتدرع بالقناصل ابقاء لسلطانه فغضـب جمال وحرض الشعب على الخروج على ذلك الحكم فقامت الثورات فى كل صقع

فعلم وكلاء الدول وارباب النفـوذ فى مصر أن محرك هذه الأفكار ، وباعث الأنفس على طلب الحرية انما هو السيد جمـال الدين ، فتقدموا الى الجناب الخديوى ــ وما كان الخديوى يجهل

جمالا ونفوذه ـ مقيمين له الأدلة على خطر الرجل ، وأنه يريد ان يجعل مصر جمهورية هو رئيسها .

وما قالوه من أنه هو المحرك للأفكار حق . أما أن يقولوا له انه يسعى لخلعك وقلب المملكة الى جمهورية هو رئيسها فهذا كذب واختلاق . وليس جمال بالرجل المغرض أو الذى يعمل لمنفعته الذاتية .

نعم كان جمال الدين يريد أن تكون مصر جمهورية حرصا على صالح البلاد ولكن ليس فى زمنه ولا فى زمن تلامذته ، ولكن بعد أن يباد الجهل وينقشع الظلام ، فلم يكن من المستطاع فى ذلك الوقت تأسيس جمهورية اذا نظرنا الى حالة الجهل الذى كان سائدا على العقول .

ظهرت بوادر اضطهاد السيد من الحكومة ، وتمكنت اليد الأجنبية من تحقيق غرضها بطرد جمال الدين من مصر . ولقد قال (براون) فى كتابه « الثورة الفارسية » :

ان الحكومة البريطانية رابها نشاط جمال الدين السياسى فحملت الخديوى الشاب على تخليص البلاد من ذلك المهيج الخطير

وقال الامام فى ترجمته للحكيم فى كتاب « الرد على الدهريين » .

**« الا أن بعض المفسدين ومنهم مستر « فيفيان » قنصل انجلترا سعى ضده لدى الخديوى ونقل عنه ما الله يعلم أنه برىء منه حتى غير قلب الخديوى عليه فأمر باخراجه » .**

اجتمع مجلس النظار برياسة الخديوى وقرر نفى السيد جمال وفى مساء السبت ٦ من رمضان سنة ١٢٩٦ (٢٤ من اغسطس سنة ١٨٧٩) قبض عليه وهو عائد من مقهاه ، وحجز فى الضبطية مهانا معذبا ، حتى اذا بزغ نور الفجر جاءه تلاميذه ومحبوه . ولكن

الأوامر القاسية حالت بينهم وبين الاتصال به . اذ منعوه من الاتصال بأحد حتى من أخذ ملابسه .

ولما رفع ستار الظلام ، وانبعثت أشعة الشمس من وكرها سطعت على السيد جمال وهو ملقى فى السجن بين جدران مظلمة فحملوه عندما وضح النهار فى عربة مغلقة الى محطةالسكة الحديدية ومنها الى السويس وأنزل فى الباخرة الذاهبة الى الهند فلحقه تلاميذه ليودعوه على الباخرة وفى نفسهم الآلام متراكمة ، وفى افكارهم ثورات متأججة .

فقال لهم السيد جمال : عجيب أن يكون نصيب المنتصر لمصر والمصريين هو الطرد .. ولسوف تخلص مصر لأهلها اذا هم عملوا بالحزم وهيأوا ما يلزم من العزم وما يتطلبه حكم الذات من القوى، ولسوف يفعلون ذلك اذا اجتمعت الكلمة وتوحدت الأهواء نحو الغاية . فلا يمكن أن تحيا مصر ولا يحيا الشرق الا اذا أتاح الله لكل منهم رجلا قويا عادلا يحكمه بأهله .. ثم قال : اذا صح أن من الأشياء ما ليس يوهب فأهم هذه الأشياء الحرية والاستقلال .

انزل السيد فى البحر ليسافر الى بمباى ولم يكن معه من النقود أكثر من ثلاثة جنيهات عثمانية وبعض قروش من الفضة على أن هذا المبلغ أخذ منه فى السويس فلما شعر بذلك قنصل دولة ايران بالسويس جاء ومعه بعض تجار العجم ليودعوه وتقدم القنصل اليه بمقدار مائة دينار على سبيل الهدية فأبى ان يأخذ منه شيئا وقال كلمته المشهورة :

**« احفظوا المال فأنتم اليه أحوج .. ان الليث لا يعدم فريسته حيثما ذهب » ..**

**كلمة تبدو منها القوة والنزاهة ، ويظهر فيها الاخلاص والعزة .. يتعفف عن المال وهو اليه أحوج من غيره ، ويرفضه ولم يكن**

**معه القليل ولا الكثير ، بل يترفع عن أخذه بدون كسب وعمل أو بدون كد ، معتمداً على صبره وأناته ، على قوته وشجاعته ، على جرأته واقدامه ..**

وفى اليوم التالى من سفر السيد ذهب بعض تلامذته الى بيته فوجدوا بعض أعوان الضابطية يعبئون كتبه فدهشوا ورجعوا وكان عنده كتب كثيرة فى فنون شتى فاختار منها أعوان الاصلاح وحفظه الأمن ما اختاروا لأنفسهم وحشوا بالباقى فى بطون الصناديق وأرسلوه الى بندر «أبو شهر» من بلاد ايران ظنا منهم بأن صاحب الكتب ذهب اليها . وبقيت الكتب فى مخزن الجمرك هناك الى أن اكلتها العتة هنيئا مريئا .

هذا صنع توفيق مع السيد جمال الدين وهو الذى كان يقول له قبل نفيه بأيام :

**« أنت موضع آمالى فى مصر أيها السيد »**

فأين موضع هذا العمل من الاصلاح الذى كان ينادى به الجناب الخديوى فى أوامره العالية . أليس من أول مبادىء الاصلاح تقرير الأمن على الأنفس وكفالة الحقوق بالعدالة ؟ ومتى يكون الأمن اذا لم تحقق التهم ، ولم يسأل المتهم ، ولم تتضح الجناية بأدلتها الصحيحة ولم تقدر العقوبة بقدرها ؟

هل أدل من هذا على عدم تبييت النية فى نفس توفيق على عداء السيد ونفيه ــ وهو الذى كان معه فى الماسونية ــ وان نفيه كان رغبة للاجانب واجابة لهم .

وهل أدل من هذا على تغلغل الأجانب فى مصر ونفوذ كلمتهم واحترام رأيهم ؟ .

وهل أدل من هذا على لين جانب الخديوى للأجانب وخشيته منهم ؟ .

لا ريب أن الانزعاج بنفى السيد كان عاما ، والكدر كان تاما ، ولكن الخديوى أظهر سروره مما فعل وتحدث به فى محضر جماعة من المشايخ على مائدة الافطار فى رمضان فأظهر الطرب بذلك من كان لا يعرف لنفسه قيمة من العلم والفضل فى محضر السيد جمال الدين .

ألزمت الجرائد بنشر الأمر الصادر بنفى السيد وفيه من التقريع الشديد ما لم يكن يستحقه الرجل ، كما أنه كان فيه تشنيع جارح بمن كانوا معه . فنسبوا اليه السعى فى الأرض بالفساد وانه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا وحذرت الناس من الاتصال بهذه الجمعية .

نشرت بعض الصحف هذا الخبر وهى مكرهة مرغمة . وأبت احداها نشره لأن محررها كان من تلامذته فما كان من الحكومة الا أن عطلتها .

على أن هذه الشدة من جانب الدول على لسان حكومة الخديوى لم تزد الأفكار الا حدة ، ولا الألسن الا جرأة ، ولا الاحساس بضرورة الاصلاح الا نموا وظهورا .

كما أن الضعف الذى أظهره الخديوى فى هذا الشأن وهو أول شأن مهم عرض له فى حكمه ـ هو الذى سبب كل ما أصابه بعد ذلك من المتاعب ولو أنه وفى بعهوده للمصلحين ولوزرائه لبقى رعاياه موالين له ولما خرجت من يده تلك الروح القوية الفعالة .

هكذا استطاع الانجليز أن يوغروا صدر الخديوى من ناحية جمال الدين ، وهكذا استطاعوا أن يحولوا بين جمال الدين وبين تحقيق أمانيه ، وهكذا استطاعوا أن يفرقوا بين جمال الدين وبين تلاميذه . . .

**نعم بهذا استطاعوا أن يبعدوا جسد جمال عن مصر ، وشبح جمال عن تلاميذه ولكن صورته ومبادئه ونظمه وخطته باقية دائمة**

**ما دام لتلاميذه أثر فى نفوس الشعب . خالدة مع الاخلاص والحق . ولكن روحه باقية فى مصر تحث وتدفع .**

نعم حق للانجليز كأمة مستعمرة أن يعملوا هذا مع جمال الدين وهو أمة وحده ، شجاع لا يهاب غير الحق ، مقدام لا يوقفه الا الباطل ، شديد الجاذبية ، سريع التأثير ، يهابه الناس ، ويكبره العظماء ، ويخافه الحكام .

كان لهم أن يبعدوه عن مصر لما تولى توفيق الملك ، لأنهم رأوا وارث العرش صديقا محبا له كما أصبح السيد صلة بينه وبين المصلحين الذين وعدهم مرة بعد مرة بأنه متى وصل الى العرش فسوف لا يحيد شعرة عن جادة الحكم الدستورى .

نعم ما كان ينتظر من الانجليز أن يفعلوا مع جمال أقل من هذا بعد تولية توفيق ، فقد جمعت فى يده قوة الشعب وقوة الخديوى حيث كانت الصلة بينهما وطيدة ، والصداقة سابقة والاتفاق مقررا .. ولما رأوا من ترحاب السيد جمال وصحبه المصلحين بارتقاء توفيق منصة العرش ، واعتباره دليلا على حسن الطالع وبلوغ المرام والفوز العظيم .

نفى جمال الدين وسافر الى الهند ، ونفى محمد عبده وسافر الى قريته . وسجن أبو تراب فى سجون مصر ولازم زنزانته . وشرد أبناء جمال الدين وعذب طلاب الاصلاح فأثار هذا ثائرة الشعب . واستدعى غضبهم ، فقام العلماء لاثارة رجال الأزهر وعملوا على أن يصدر شيخ الاسلام فتوى بعدم صلاحية الخديوى للحكم وبوجوب خلعه ورفض طلبات أوربا .

وقام المويلحى ، والعطار ، وراضى وغيرهم لاثارة النواب ، فقاموا بدورهم يرفضون طلبات أوربا ويجددون طلبهم الدستور مجاهدين فى سبيل ارجاعه .

وقام السيد عبد الله نديم لاثارة العامة ، فأخــذ يخطب فى الجموع الحاشدة فى الاسكندرية والأزهر التى كانت تبلغ عشرة آلاف وأكثر ، يحثهم على رفض طلبات أوربا وعدم كفايةالخديوى للحكم ، ومؤازرة العلماء والنواب .

وقام عرابى واخوانه من رجال الجيش يثيرون الجند ويحفزونه للتدخل فى السياسة ومساعدة العلماء والنواب والشعب فى طلباتهم حتى قال عرابى :

**« اننا نحن المصريين لا نحب الدماء ولا نود أن يسفك شيء منها ، ومتى عرف برلماننا كيف يتكلم تنتهى مهمتنا نحن الجنود ولكنا مصممون على حراسة حقوق الشعب حتى يتحقق هذا ، ولا نبالى - بعون الله - بقيمة الثمن الذى تقتضيه هذه الحراسة أو الذى يجب أن ندفعه فى مقابل حراسة الشعب للذين يحاولون اسكات صوته »**

نعم قامت كل جماعة بثورة من جانبها ، وقام تلاميذ جمــال الدين كل فى ميدانه ثم قامت الأمة كلها بثورة واحدة هى ثــورة المكلوم الحانق على الاستعمار . ثورة المطالب بحقــه ، المسترد لشرفه ، المدافع عن عرضه وكرامته .

قامت الثورة فى مصر من أقصاها الى أقصاها ، وانتقل صداها الى العالم الاسلامى فأظهر عطفه نحوها مؤيدا الشعب المصرى فى مطالبه وازدادت قيمة عرابى فى عين العالم الاسلامى .

وهناك فى الهند حيث نفى جمال الدين قامت ثورة من دعــاة الجامعة الاسلامية ليشغلوا انجلترا يريدون بهذا مساعدة عرابى .. وأرسل عرابى الى المستر غلادستون يقول :

ان أول قنبلة ترمى بها مصر ستكون سببا فى سفك الدماء فى آسيا وافريقيا ، وان تبعة ذلك كله على انجلترا .

هبت الثورة العرابية كما تهب العاصفة بعد طول السكينة فاشتركت فيها من الأمة كل قوة فكرية أو عسكرية ، وشايعها الجامدون والمصلحون على السواء ، لأن المظالم والمفاسد لم تدع للمصريين سلوة يتعزون بها أو مهربا يثوبون اليه ، فمستهم مسا عنيفا فى ايمانهم الدينى ، وفى مصلحتهم الوطنية ، وفى نخوتهم القومية ، وفى أرزاق الأفراد وما يغارون عليه من حرمة مصونة ، ومن خصائص الطبيعة المصرية فى هذه الثورة أن رجال الدين والأزهريين جملة كانوا على رأسها وفى طليعة دعاتها خلافا لرجال الدين فى كل ثورة داخلية فى غير مصر فان الطبيعة المصرية على ما نظن لم تكن لتسيغ ثورة ليس فيها للمحافظة مكان ·

لم تفلح الثورة العرابية نظرا لأنها احيطت بدواعى الحبوط من الدسائس الخارجية ومن تهالك الحكام على الدول الأجنبية ومن عبث الدولة العثمانية .. ولولا ذلك لسارت فى طريق أقوم من طريقها وانتهت الى مصير خير من مصيرها ولكنها تعرضت لذلك جميعه فانتهى أمرها الى الهزيمة وكانت نهايتها بداية احتلال أجنبى للبلاد .

نعم كان هذا مآل الثورة ، وكانت تلك نتيجتها وربما صلح الحال ، وعكس المآل · وتغيرت النتيجة بما فيه صالح البلاد لو كان السيد جمال الدين مقيما بمصر ·

ولكن سافر السيد جمال والثورة فى نفوس المصريين تظهر فى آونة متلاحقة ، وبسفره منفيا اشتعل نارها ، واشتد أوارها وتطاير شررها حتى يوم ١١ من يونيه سنة ١٨٨٢ اذ ضرب الأسطول الانجليزى قنبلة فى الثغر السكندرى لحقت شظاياها جمال الدين فى منفاه فنقلته من « حيدر أباد » الى « كلكتا » فشددت عليه الحكومة الرقابة وقطعت عنه حبل الرسائل ، الا أن مشعل الثورة كان قد انتقل الى يد الامام محمد عبده الذى كان مبعدا فى قريته

« محلة نصر » فأخذ يكتب بقلمه ، ويجول بفكره حتى انزلقت رجله الى السجن هو وجميع الزعماء الوطنيين ودخلت انجلتــرا مصر وقت أن دخل العبيد الى من فى السجون ليكيلوا لهم العذاب وينزلون بهم الخسف ويعملون فيهم الضرب والسب .

# أثر جمـــال الدين فى مصر

فيما سبق ذكرنا ما أستطعنا أن نذكره عن السيد جمـــال مدة اقامته بمصر وكتبنا ماعسى أن يكون تفصيلا لحياة الفقيـد وهو مقيم بها .

والآن بعد أن ودعناه منفيا الى الهند لابد لنا من ذكر كلمـة ولو مجملة فيما كان له من الأثر البارز فى نهضة مصر الحديثـــة مع علمى بأنى لاأستطيع أن أفى بما للمترجم العظيم من الحقوق والواجبات التى فى عنقنا جميعا نحن المصريين .

## أثره العلمى والأدبى

قبل مجىء السيد الى مصر كان الأفق العلمى ضيقا وكـــان العلماء يلتزمون فى البحث والتفكـــير طرائق لا تنتهى الى تبصرة وهداية وكان الناس قد تنكبوا فى فهم الاسلام على وجهه الصحيح وتعرجوا به فى طرق خرجت به عن جادته القويمـــة ، وكان الأدب أيضا راكدا ولغة الكتابة فى منتهى الضعف فعمل جمال عـــلى القضاء على تلك الأفكار العقيمة والبحوث الباليـــة التى لا تؤدى الى العلم والعرفان وراح يغرس فى تلاميذه والمنتمين اليـــه روح التفكير المطلق وحب الحقائق التى تتمشى مع العقل السليـــــم والرأى الحصيف .

لم يتوان السيد جمال لحظة واحدة عن تلقين تلاميذه أفكاره الحرة سواء فى منزله أو فى المقهى الذى كان يجلس فيه وسرعان ما ظهر فى سماء مصر كواكب العلم ونجوم العرفان أمثـــال الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده والشيخ أبو خطوة والشيخ حسن الطويل والشيخ عبد الرحمن قراعة والشيخ بخيت .

كذلك كان للنهضة الأدبية بفضل السيد جمال الدين الأثـــر المحمود فى حالة مصر العامة فلم يكن قبل جمال الدين أدباء بالمعنى الصحيح يعبرون عن أمانى الشعب وآماله ولم يكن قبل نـــزول السيد جمال مصر خطباء ينبهون الشعب الى مايجب ومالا يكون وكانت البلاد فى حاجة ملحة الى كتاب ينافحون عنها ويقاومون ذلك الحكم الاستبدادى الذى كان يبســط سلطانه على النـــاس وقتئذ فما زال جمال الدين بتلاميذه يرغبهم فى الـــكتابة ويحبب اليهم الأدب حتى ظهرت طائفة من الخطباء والأدباء نذكر منهـــم الأديب اسحق وعبد السلام المويلحى ، واللقانى ، وحفنى ناصف وعبد الله نديم وقد استطاعوا أن يوجدوا حركة أدبية فى البلاد ، كان لها الفضل كل الفضل فى انتشار العلوم وتنوير الأفكـــار وترقية لغة الضاد واليك ما يقول المرحوم حافظ ابراهيم شاعر النيل فى كتابه ( ليالى سطيح ) .

**« كان الفضل فى القضاء على التقليد راجعا لجمال الـــــدين وتلاميذه ، أحيا الله بواسطتهم اللغة العربية وبعث الحيـــــاة فى رميم الانشاء وكان الناس قبل ذلك يدينون باللفظ ويكفـــرون بالمعنى فمازال بهم حتى أبصروا نور الهداية وخرجوا بفضله من ظلمات القرون الوسطى »**

ويجدر بنا أن نشيد بالطبيعة المصرية التى دلت على حســـن استعداد المصرى للتعليم والتهذيب وأن نفخر بما عليه المصريـــون من حب العلم واكرام العلماء فلم نر أثرا لدعوة جمال الدين الى

الاصلاح مثل مانرى له فى مصر ولم نقرأ فى كتب التاريخ أن بلادا قد أثمرت فيها تعاليمه وآتت أكلها ضعفين مثل مانقرأ ذلك فى تاريخ مصر الحديث ولولا ذلك الاستعداد الذى تهيأت له الأمة بطبيعتها وتلك الظروف التى كانت فيها البلاد لأخفقت دعوته وماتت فى مهدها .

## اثر السيد جمال الدين

**« كان من مبادىء جمال الدين أن الاسلام والذل لا يجتمعان فى قلب واحد »** ولعمرى انه لمبدأ خالد يكتب بماء الذهب فى تاريخ جمال أعظم عظماء الاسلام ويضمن له البقاء والخلود ويسمو به الى مراتب الملائكة والأنبياء .

**نعم انه لآية من آيات الحق ، ووحى هبط من السماء ، وتأييد من الله يؤيد به عباده المصلحين ، وهداية من الرحمن ونعمة يسبغها الله على من يشاء انه عليم قدير .**

أخبرنى أيها القارىء أى مسلم يقرأ هذا المبدأ القويم دون أن يسكب الدمع مدرارا ودون أن تذهب نفسه حسرات على ماكان للمسلمين فى غابر الأزمان من عز وسؤدد وماهو عليه أكثرهم اليوم من الذلة والانحطاط .

ساء جمال الدين ما وجد عليه علماء الاسلام من ضعف الارادة وفقد العزيمة والاستكانة للغير مع مافى هذا من مخالفة صريحة للدين الحنيف الذى يدعو أهله الى الاعتزاز بالكرامة والجرأة فى الحق والاخلاص فى العمل وترك الكذب والنفاق والملق وما الى ذلك من الأمور الخسيسة التى تتنافى مع الانسانية الراقية المهذبة ولا تستقيم مع الحياة الحرة النزيهة الشريفة .

نعم يسىء رجلا مثل جمال تطلع لاحياء مجد الاسلام ووهب نفسه لخدمة المسلمين فى الشرق أن يرى فى المسلمين تفشى الذل

والمسكنة وأن يرى في العلماء ضعفا وجبنا وخضوعا للملـــوك المستبدين وأن يرى بينهم وبين علوم الفلسفة سدأ منيعا وحجابا كثيفا فأزال هذه الحجب وحطم تلك السدود وأبان لهم أن الاسلام دين العقل والنظر والمناقشة وأن المسلم لايكون مسلما صحيح الاسلام الا اذا اعتقد عن دليل وبرهان أن الله واحد وأن محمـدا عليه السلام نبيه ورسوله ولاسبيل الى هذا الا اذا طرق المسلمون أبواب العلم وأخذوا من كل فن بمقدار وبعد ذلك لا تقوم للاسلام قائمة ولا ترفع له راية ويبقى أهله موضع الزراية والاحتقـــار في نظر أهل الغرب الذى بلغ ما بلغ من التقدم فى العلوم والمدنيـة والذى ما فتىء يطلع علينا كل يوم بأحدث المخترعات والمكتشفات

واجتهد جمال الدين فى حمل الممالك التى وعظ فيهـــا على أن تعيد النظر فى الموقف الاسلامى كله وأن تستبـــدل بالتمسك بالقديم التحرك الى الأمام حركات أدبية منسجمـــة مع العلم العصرى وقد مكنه علمه التام بالقرآن والسنة من اقامة الحجة على أنهما لو أحسن تأويلهما معا لكان الاسلام كفؤا لأحداث تطور راق عظيم

**دأب جمال على محاربة تلك الخلال الرديئة فى المسلمين وعمل على اجتثاثها من جذورها يعاونه فى ذلك تلاميذه الذين تقبلوا دعوته واستساغوها من أول لحظة وصل اليهم عبيرها فلم يمض قليل من الزمن حتى دبت فى نفوس الأزهريين روح اليقظة** ، وجرى فى عروقهم دم الحياة الجديدة وكانت نهضة دينية احتضنها الأزهر ومشى على هديها ولا يزال يستضىء بنورها الى اليوم ٠

وقد ظهر آنئذ على مسرح الحياة علماء عصريون فهموا الـدين حق الفهم وعرفوا أن المدنية الأصلية من صميم الاسلام . وشاركوا الأمة فى آمالها وآلامها ٠ وقد تجلى أثر ذلك فيما قام به الأزهريون ضد الحكام المستبدين وفيما قاموا به ضد شيخ الأزهر فى ذلك

الحين الشيخ محمد العباس الذى ضعفت ثقة العلماء فى أن يصدر فتوى لمصلحة النظام الدستورى حتى لايستطيع الخديـــوى أن ينكث بعهده فى اصدار مرسوم بالدستور وظهـــر أيضــا فى انتخاب الطلاب الشيخ عليش مخالفين ماجرت به العادة من أن الحاكم هو الذى له الحق فى تعيين مشايخ المذاهب . فانتخبـــوا جميعا الشيخ عليش شيخا للسادة المالكية . ذلك الرجـــل المعروف لدى الناس بالصراحة والوطنية والذى بلغ من جـــرأته أن أصدر بعد مدة من تعيينه فتوى قال فيها « بما أن الخديـوى قد حاول أن يبيع البلاد للأجانب وأطاع اشارات قنـــاصل أوربا فانه لم يعد يصلح لأن يكون واليا على المســـلمين المصريين ويجب لذلك خلعه » فصدق الجميع على هذه الفتوى وذهب الشـيخ محمد خضير ومعه نفر من الأعيان الى درويش (باشـــا) الذى طلبت انجلترا انتدابه من السلطان وقدموا اليه عريضة وقع عليهـــا ١٠٠٠٠ من العلماء والطلبة طلبوا فيها رفض طلبات الدول وخلع الخديو فعقدت عدة اجتماعات فى الاسكندرية والقاهـرة كان أشدها حماسا ووطنية الاجتماع الذى عقـــد فى الأزهر على هيئـة مؤتمر وخطب فى هذا الاجتماع السيد عبد الله نديم وقـــرروا الاحتجاج على معاملة درويش باشا للعلماء مما اضطر البعثة التى يرسلها ان تسحب مقترحات أوربا

ذلك من آثار دعوة جمال ، وتلك هى ثمرة غرسه الجميـل فى نفوس الأزهريين

# أثره السياسى وتكوينه للحزب الوطنى

ارتبكت مصر من الناحية المالية ، وساء حالها من الناحية السياسية فاشتد الظلم وزاد الجور وعظم التدخل الأجنبى فى مصر وأحاط بالمصريين الذل من كل جانب

لم يرض هذا جمال الدين ، وهو الذى فطرت نفسه على الحرية وهو الذى يقول « **لايجتمع الاسلام والذل فى قلب واحد** » فمال الى تخليص البلاد من هذا الأسر وأخذ يعمل على تحقيق أمله فارتأى أنه لاسبيل الى ذلك الا بتكوين الجمعيات الوطنية ولم يكن حينئذ فى مصر جمعيات منظمة لها أثرها العالمى مثل « جمعية الماسونية » فدخلها السيد لتحقيق مقصده السياسى فيتعرف بعظماء المصريين وغيرهم من الذين تضمهم هذه الجماعة أملا منه فى مساعدتهم اياه فى رفع الظلم عن المصريين وتحقيق أحد مبادئها وهو الحرية

عمل جمال فى الجمعية حتى تقدم فيها ونال درجة كبيرة ، وصار من الرؤساء ثم أنشأ محفلا وطنيا ٠

ودعى مريديه من العلماء والوجهاء الى الانضمام الى محفله فبلغ عدد أعضائه ثلاثمائة عضو ٠ وعظم اقبال الناس عليه حتى أن توفيق ولى العهد حينئذ طلب الدخول فيه ٠

وكان السيد جمال دائما يجهر بعدائه للانكليز ونشر فى جريدة مصر فصولا ناطقة بعداوته لهم فتنبه الانكليز لجمال من جراء هذه المقالات وترجمتها جرائد لندن واهتموا بها كثيرا

ولما عظم شأن محفله واتسع نفوذه وتضاعف عدد المشتركين فيه داخل انجلترا الخوف من هذا المحفل فاتصل قنصلها بالحكومة فعملت على فشله وفضه .

لم يكن ذلك محبطا لآمال جمال الدين فسرعان ما اجتمع بأعضاء محفله اجتماعا سريا وانضم اليهم بعد ذلك كثير من الساسة والأدباء وأخذوا يتباحثون ويتناقشون أياما حتى قر رأيهم على تاليف حزب مسمى بالحزب الوطنى . فى أوائل سنة ١٨٧٩ وقد بقى هذا الحزب فى طى الخفاء يرسم الخطط ويذيع الأنباء : فلما ظهر للسيد جمال أن اسماعيل مخلوع لامحالة كشف الغطاء عن مقاصده السياسية وظهر بحزبه الجديد فى الميدان السياسى وكان هذا لأول مرة فى تاريخ مصر يعرف فيه اسم الحزب الوطنى : الحر .

ولما ساء حال مصر بزيادة التدخل الانكليزى وبلغ السيل الزبى : ذهب السيد جمال الدين على رأس وفد من أعضاء حزبه الى المسيو تريكو · قنصل جنرال فرنسا ، ومكاتب (التيمس) وكلمهما بلسان حزب كبير قائلا :

« ان فى مصر حزبا وطنيا يطلب الاصلاح ويسعى اليه وان الاصلاح فى مصر لا يتم الا على يد توفيق » قاصدا بذلك خلع اسماعيل بعد أن عدلوا عن مؤامرة اغتياله اذ كان فى نيتهم اغتيال اسماعيل ، وانتشر ذلك الخبر فى القاهرة وغيرها بسرعة البرق وتناقلته الجرائد فى حينه .

ودخل فى ذلك الحزب كثير من العلماء والنواب نذكر منهم الشيخ محمد عبده ، السيد عبد الله نديم . أحمد محمود ، حسن

الشريعي ، سعد الله حلبي ، حسن السيد قنديل ، محمود البارودى وابقاء مجلس شورى النواب ٠

وكان الحزب يرى أن أهم عمل للاصلاح هو تعميم التعليم فى مصر ونشر الثقافة وهذا كله لايحصل الا بواسطة حرية المطبوعات وابقاء مجلس شورى النواب

وكان من مبادئه المطالبة باطلاق الحريات الكافية للنواب ليعمل باخلاص فى جو هادىء ويريدون تقوية جيشهم وزيادته لأنه هو حامى ذمارهم وكان هذا الحزب حزبا سياسيا لا دينيا فانه مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذاهب لأن الكل اخوان وحقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية ٠

وكانت آمال هذا الحزب معقودة على اصلاح البلاد ماديا وأدبيا ولايكون ذلك الا بحفظ الشرائع والقوانين وتوسيع نطاق المعارف ، واطلاق الحرية السياسية التى يعتبرونها حياة للأمة ٠

هذا هو مختصر برنامج الحزب الوطنى القديم وهناك حلقة اتصال بين مصطفى كامل وبين جمال الدين .. وقد اعتبر الحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ أنه الوارث الوحيد المباشر للحزب الوطنى القديم الذى نحن بصدد الحديث عنه ٠ ويرجع بعض هذا الى تطرف ذلك الشاب الوطنى المتفانى فى حب بلاده والذى وصل تعاليم السيد جمال الى مصطفى كامل ولقنها له هو السيد عبد الله نديم صاحب جريدة الطائف وخطيب الثورة العرابية ٠

هذا هو مانعرفه عن السيد جمال الدين الأفغانى فى مصر ، وتلك بعض آثاره التى استطعنا معرفتها وتمكنا من ذكرها ولكن مآثر السيد كثيرة ومجهوده عظيم لايحصره حاصر ولايستطيع أن يقف على تفاصيله مؤرخ .. وبالجملة فمصر الحديثة هى من غرس السيد جمال أو هى هديته الى أبناء جيلنا الحالى

لقد نشأ جمال على حب الحرية ومقت الاستعمار ومحاربته في كل مكان وأكسبته تربيته الأولى شجاعة فائقة وصراحة في الحق الى ما عرف به من اباء الضيم وقوة الشكيمة والأنفة وعلو النفس وسمو الهمة وموقفه مع محمد أعظم فى الحرب الأفغانية وولاؤه له بعد انهزامه بالرغم من اغراء ( شير على ) بعرض المناصب الكبيرة عليه يدل على ما كان لجمال من الصفات العالية والأخلاق السامية ٠

ومقصده السياسى كما يقول الأستاذ الامام :

انه كان يسعى لانهاض احدى الدول الاسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شئونها حتى تلحق بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه وللدين الحنيف مجده ويدخل فى هذا تنكيس دولة بريطانيا فى الأقطار الشرقية ، وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله فى عداوة الانكليز شئون يطول بيانها ٠

جاء السيد الى مصر يحمل بين جنبيه نفسا كبيرة وروحا قوية ، ناقما على دول الاستعمار ، وخاصة انكلترا منددا بأعمالها فى الشرق التى تزرى بالانسانية وتذهب بالكرامة ٠

وكان المصريون وقتئذ قادمين على عهد بغيض استهدفت فيه البلاد للأخطار وعانى فيه الأهالى مرارة الاستبداد من فداحة الضرائب بسبب اسراف اسماعيل فى القروض فما جاء عام ١٨٧٦ حتى كان للتدخل الأجنبى اليد العظمى فى شئون مصر وبدأ المصريون يشعرون بخطر ذلك التدخل فثاروا على نظام الحكم وأعلنوا سخطهم للحكومة وسياستها الخرقاء التى أفضت الى امتهان كرامة البلاد ، وكانت نهضة وطنية حقة ظهرت بفضل مبادىء جمال الدين الوطنية وتعاليمه السياسية التى غرسها فى تلاميذه فكانت بعد من أهم العوامل فى تنشيط الروح القومية فتحرك الشعب ضد التدخل الأجنبى وانتشرت الصحف السياسية

وزاد إقبال الناس عليها ثم بدت فى مجلس شورى النــــواب روح اليقظة والمعارضة على يد نواب نفخ فيهم جمال من روحــه نذكر منهم عبد السلام المويلحى النائب الوطنى الجرىء وانتفــع بها فى حياته الوطنية .

ونحن المصريين مدينون لجمال فى جميع حركاتنا الوطنيـــة فليذكر كل مصرى أن جمال الدين هو الذى بعث النهضـــة الفكرية فى مصر التى تجنى ثمارها اليوم ، ونبنى عليها دعائم نهضتنــا ونشيد صروح آمالنا .

نعم لقد خرج السيد جمال الدين من مدرسته أساطين السياسة ورجال الزعامة فهذا ــ سعد زغلول . تتلمذ عليه واغترف من بحر علمه ، وذاك خالد الذكر الشاب النابه مصطفى كامل الذى نهــج منهج جمال ونهل من منهله السياسى وتشرب من مبادئه وتلقــن خطة السيد من الثائر الخطير السيد عبد الله نديم .

**وهذان هما رجلا النهضة السياسية الأولى أما مصطفى فــكان الباعث لها ، وأما سعد فهو الذى تعهدها من بعد مصطفى وصــار بها الى أن انتهت الى ثورتنا الحاضرة التى رفعت رأس مصر ووضعتها فى مصاف الدول الكبرى ، معتدة بمجدها وبأبنائها ، سائرة فى اتجاهها حتى لا تدع مجالا لباب من أبواب المجد الا ولجت به لكل فرد من أفراد من هذه الأمة ان شاء الله ..**

**كتب الله لها التوفيق ..**

# جمال الدين فى الهند للمرة الثالثة

تكلمنا عن جمال الدين فى الهند فى المرة الأولى والثانية

أما الأولى : فكان قد ذهب اليها تلميذا متزودا من علومهـــا ومعارفها ، وأما الثانية : فجاء اليها أستاذا له قيمته وقدرته فوق ما كان له من الشأن العظيم فى الحياة العلمية والعملية ٠

أبحر الحكيم الى الهند للمرة الثالثة منفيا من مصر ونزل فى ميناء « بوشهير » ثم انتقل الى « حيدر أباد »

سافر السيد الى الهند وقد تركت روحه الثورية أثرا هائلا فى نفوس أبناء مصر لم تلبث الأيام أن أظهرته فى ثورة عرابى أحد أبناء الحـــكيم ٠

أبحر السيد الى الهند وفى نفسه ألم ممض ، وحزن عميق من قرار الحكومة القاضى بنفيه وصدور بلاغ كاذب ضده مملـــــوء بالأباطيل من حكومة رئيسها الأعلى الخديوى توفيق الذى قال له فى يوم ما :

« **أنت موضع آمالى فى مصر أيها السيد** » ٠

نعم لجمال الدين أن يحزن ويأسف على مـــا لقى فى مصر من الهيئات الحاكمة

**أصر جمال وهو فى الهند على ترك السياسة ، وعدم الاشتغال بها . فاعتكف على الدراسة العلمية ، ووضع (( رسالة الرد على الدهريين ))** التى دعاه الى تصنيفها حمية جاشت بنفسه عند ما رأى حكومة الهند الانكليزية تمد فى الغى جماعة من سكان تلك البلاد اغراء لهم بنبذ الأديان وحل عقود الايمان ، وان كثيرا من العامة فتنوا بآرائهم ، وخدعوا عن عقائدهم ، وكثر الاستفهام منه عن حقيقة ما تدعيه تلك الجماعة الضالة وممن سأله عن ذلك حضرة الفاضل « مواوى محمد واصل » من حيدر آباد الدكن من بلاد الهند فأجابه السيد جمال بخطاب وعده فيه بانشاء رسالة فى بيان ما كثر السؤال عنه وقد وضعها فجاءت رسالة قيمة مدعمة بالحجج ، معززة بالبراهين العقلية . ولقد ارتأى فضيلة الأستاذ الامام أن ينقلها الى العربية تعميما للفائدة فاستعان بعارف أبى تراب أفندى الأفغانى خادم السيد جمال .

كتب السيد جمال تلك الرسالة التى وعد بها . وأبان فيها مذاهب الحكماء والفلاسفة فى حقيقة الوجود ثم تكلم عن النيتشريين وحقيقة أمرهم وما هم فيه من تضليل وجهالة ثم بين فضل الأديان وأحقيتها وميزة الاسلام على سائر الأديان وأن سعادة الأنسانية لا تتم الا به

**ولما كانت تلك الرسالة مفيدة ثمينة بما فيها من المباحث القيمة والآراء الحكيمة رأيت من واجبى ولا سيما وأنا أكتب عن تاريخ صاحبها أن أذكر ملخصا لبعض مباحثها لنعطى لقراء هذا الكتاب صورة ولو مصغرة على مقدرة الرجل ، وقوة حجته ، وسحر بيانه ، وشدة تأثيره ، ومقدار ايمانه ، ورسوخ عقيدته . قال :**

**انقسم حكماء اليونان فى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد الى فئتين :**

**الأولى** : ذهبت الى وجود ذات مجردة عن المادة والمـــادة مخالفة للمحسوسات فى لوازمها منزهة عن اللواحق الجسمانية وعوارضها . واشتهرت هذه الطائفة « بالخاضعين لله » ومنهم . فيثاغورث ، سقراط ، أفلاطون ، أرسطو وغيرهم

**الثانية** : ذهبت الى نفى كل موجود سوى المادة والمـــاديات وعرفت هذه الفئة بالماديين والعرب تقول عنهم « الطبيعيون » وفى الفرنسية « التاتوزيون » وفى الانكليزية « النيتشريون » .

ثم فند السيد رأى هؤلاء ورد عليهم بأن الرادع للنفس والمانع لها من تجاوز حد الاعتدال انما يكون بأحد أمور أربعــة ، نلخص ثلاثة منها ونذكر الرابع لأهميته

١ ــ **المدافعة الشخصية** : وهذه ضراب وقتــال يــؤدى الى انقراض النوع الانسانى .

٢ ــ **شرف النفس** : فهى صفة متغايرة بتغاير البلاد فكثير من الامور خسة عند البعض وهى بعينها رفعـــة وشرف عنـــد الآخرين .

٣ ــ **الحـــكومة** : وهى لا تكف الا العدوان الظاهر

٤ ــ **الاعتقاد بالألوهية** : اذن لم يبق للشهوة قامع ولا للأهواء رادع الا الايمان بأن للعالم صانعا عالما بمضمرات القلـــوب ، ومطويات الأنفس ، سامى القدرة واسع الحول والقوة ، مـــع الاعتقاد بأنه قد قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه فى حيـــاة بعد هذه الحياة . وفى الحق أن هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيه وحاسمان صارمان يمحوان أثر الغدر . وهماأفضل وسيلة لاحقاق الحق والتوقيف عند الحد ، وبدونهما لا تقرر هيئة للاجتمـــاع الانسانى ، ولا تلبس المدنية سربال الحياة .. ولو خليت القلوب منها لسكنتها شياطين الرذائل

من اين لمنكر الجزاء أن يكف نفسه عن خيانة أو يترفع بها عن كذب ، وغدر ، وتملق . . أو أى حامل يحمله على المعاونة والرحمة والمروءة وعلو الهمة — الخ من الأخلاق التى لا غنى للهيئة الاجتماعية عنها — ولئن وجد فى احد الجاحدين شيء من مكارم الأخلاق بمقتضى الغريزة لكان أبتر ناقصا لفقد ما يمده من سائر صفات الكمال .

وأول تعاليم « النيتشريين » ابطال هذين الاعتقادين : (١) الله ، (٢) الحياة الأبدية ، وهما أساس كل دين . وآخر تعاليمهم الاباحة والانطلاق فهم الساعون فى نسف بناء الانسانية ، يطلبون ضعضعة أركان المدنية وفساد الاخلاق البشرية ويقوضون بذلك ما رفعه العلم وشادته المعرفة فيهلكون الأمم باطفاء حرارة الغيرة ، واخماد ريح الحمية . هؤلاء جراثيم اللؤم والخيانة . صحبتهم صيد ، وتوددهم مكر ، ومواصلتهم غدر ، وصداقتهم خيانة ، ودعواهم للانسانية حبالة ، أسراء الشهوات ، لا احساس لهم بالعار . الابن فيهم لا يأمن من أبيه ، والبنت لا أمان لها من كليهما !

قد يوجد بين الناس من تروقه رقة جلود هذه الأفاعى ، وانتظام الرقش فيها فيلتبس عليه أمرهم فيصغى لزخرف قولهم ويظن أن هؤلاء القوم من طلاب التمدن ، أو من الراغبين فى بث المعارف . فذلك المغرور بمظاهر هذه الطائفة لا محالة يبكى عليه ويضحك منه . فالضحك عجبا من غروره ! والبكاء حزنا على ضلاله

فتبين مما قررناه أن الدين — وان انحطت درجته بين الأديان وهى أساسه — أفضل من طريقة الدهريين ، وأمس بالمدنية ونظام الجمعية الانسانية ، وأجمل أثرا فى عقد روابط المعاملات بل فى كل شأن يفيد المجتمع

فلم تبق ريبة ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان . فلو قام الدين على قواعد الأمر الالهى الحق ، ولم يخالطه شيء من

أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب انه يكون سببا في السعادة التامة ، والنعيم الكامل ، ويذهب بمعتقديه في جـــواد الكمال الصوري والمعنوي ، ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهـــري والباطني ويرفع أعلام المدنية لطلابها . بل يفيض على المتمدينين من ديم الكمال العقلي والنفسي مايظفرهم بسعادة الدارين .

وكان السيد جمال يرى لسعادة الأمم أمورا لا تتم الا بها فالأمة التي تسير على نهجها ، وتعمل بها هي السعيدة والا فيكون الشقاء حليفها وقد اوضح هذه الأمور فى نهـــاية كتابه « الرد على الدهريين » نذكر ملخصها اتماما للفائدة .

**الأول : صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الأوهام فانها لو تدنس بها العقل لقامت حجابا كثيفا يحول بينه وبين حقيقـة الواقع .**

**وأول** ركن بني عليه الدين الاسلامي صقل العقول بصقـــال التوحيد وتطهرها من لوث الأوهام فمن أهم أصوله الاعتقاد بأن الله متفرد بتصريف الأكوان متوحد فى خلق الفواعل ـ والأفعال وأن من الواجب طرح كل ظن فى انسان أو جماد ـ علويا كان أو سفليا ـ بأن له فى الكون أثرا بنفع أو ضر ، أو اعطاء أو منع أو اعتـزاز أو اذلال .

وأغلب الأديان الموجودة لا تخلو من هذه الأوهام ان شـــئت فاضرب بنظرك الى ديانة «برهما» فى الهند: ودين «بوذة» فى الصين، ودين « زرادشت » وكثير من الأديان .

**الثـاني :** أن تكون نفس الأمم مستقبلة وجهة الشرف طامحة الى بلوغ الغاية منه ، بأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الانساني ما عدا رتبة النبوة فانها بمعزل عن الطمع وانما يختص الله بها من شاء من عباده ولا يذهب وهـم أحد من الأمة الى أنه ناقص الفطرة منحط المنزلة فاقد الاستعداد بشيء من الكمالات

**ان دين الاسلام فتح أبواب الشرف فى وجوه الأنفس ، وكشف لها عن غايته ، وأثبت لكل نفس صريح الحق فى أى فضيلة ، وأنبأ كل ذى نطق بوفرة استعداده لأى منزل من منازل الكرامة ، ومحق امتياز الأجناس وتفاضل الأصناف ، وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلى والنفسى لا غير ، فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة ، وقد لا نجد من الأديان ما يجمع أطراف هذه القاعدة .**

**الثالث :** أن تكون عقائد الأمة وهى أول رقم ينقش فى ألواح نفوسها مبنية على البراهين القويمة ، والأدلة الصحيحة ، وأن تتحامى عقولهم مطالعة الظنون فى عقائدها وتترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها فان معتقدا لاحت العقيدة فى مخيلته بلا دليل ولا حجة قد لا يكون موقنا فلا يكون مؤمنا . هذا ، والآخذ فى عقائده بالظن ينصب عقله على متابعة الظنون ، والقانع بأن آباءه كانوا على مثل عقيدته فأولى به أن يكون عليها يلتقى مع سابقه فى مضارب الوهم وفجاج الظن .

ان الدين الاسلامى يكاد يكون متفردا من بين الأديان بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظنون . هذا الدين يطالب المتدينين أن يأخذوا بالبرهان فى أصول دينهم وكلما خاطب العقل وكلما حاكم الى العقل . تنطق نصوصه بأن السعادة من نتائج العقل والبصيرة .

وقلما يوجد من الأديان مايساويه أو يقاربه فى هذه المزية وأظن غير المسلمين يعترفون لهذا الدين بهذه الخاصة الجليلة

**الرابع :** ان يكون فى كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة ولا يألون جهدا فى تبيين طرق السعادة لهم ثم طائفة اخرى تقوم على النفوس تتولى تهذيبها وتكشف عن الأوصاف الفاضلة ، وتفضح ستور الرذائل وتشتد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وان من أهم الأركان الدينية فى الديانات الاسلامية هاتين

الفريضتين « نصب المعلم ليؤدى عمل التعليم واقامة المؤدب الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** » « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » .. وقد برز دين الاسلام على غالب الأديان فى العناية بهذين الأمرين .

فان قال قائل ان كانت الديانة الاسلامية على ما بينت فما بال المسلمين على مانرى من الحال السيئة والشأن المحزن فجوابه أن المسلمين كانوا كما كانوا وبلغوا بدينهم مابلغوا والعالم يشهد بفضلهم واكتفى الآن من القول بهذا النص الشريف « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » .

كلمات كلها ايمان ، كلها قوة ، مليئة بالأدلة ، مدعمة بالحجج ، معززة بالبراهين . تدل على سعة اطلاع الرجل ، وفيض علمه ، وغزارة مادته ، وبديهة قريحته ، ومنها تبدو لك عقيدة الرجل الدينية نقية لا غبار عليها ، كاملة لا تشوبها شائبة ، ويظهر لك أسلامه صحيحا لا نقص فيه . فأنت اذا ما تمعنت فى تلك الآيات البينات التى كتبها السيد جمال لوجدته قد دافع فيها عن الدين الاسلامى دفاع الجندى الظافر دفاعا مجيدا ، منتقلا بك الى أن الاسلام هو دين الحق ، دين الكمال ، دين الله جل شأنه ، دين الهداية والرشاد ، دين المدنية والرقى الدين الذى تتم باتباعه السعادة فى الدارين

ما كان هذا كل مجهود السيد جمال العلمى بل وضع عدة مذكرات بالفارسية والأفغانية بعضها طبع وترجم ، وبعضها حيل بينه وبين اصداره . ومن كتبه التى خرجت الى حيز الوجود كتابه « تتمة البيان فى تاريخ الأفغان » نقتطف منه الجمل الآتية :

« كثرة الحجاب والمناع هو اساس الظلم فى البلاد الشرقية حيث يوجب تطاول ايدى الولاة ، والمأمورين على حقوق الرعايا كما هو مشاهد الآن فى جميع أقطار الشرق » وقال فيه :

**« لا يليق بالأمراء والسلاطين اذا غدروا بشخص أو ظلموه او أضاعوا حقه أن يصافوه ، ويعتمدوا عليه خصوصا فى مهمات أمورهم فان الحقد والعداوة اذا قرعت قلبا زايلته » .**

ونذكر من كتبه أيضا « الخلافة » الذى صادرته حكومة الهند الانكليزية لما فيه من المساس بها والتعرض لسياستها فى الشرق ولما فيه من تحريض الناس على التخلص من حكمهم

كان بود السيد جمال الدين ألا يشتغل بالسياسة مرة أخرى بعد هذا الاضطهاد ولكن كيف له أن يبتعد عن السياسة وقد امتزجت به دما ولحما فلم تنقطع عنه الرسائل من مصر ولم يقطع هو من جانبه رسائله الى اصدقائه وتلاميذه فى مصر مستفسرا عن أحوالها حتى قامت الثورة العرابية فلم يسع السيد جمال الا أن يشارك مصر فى ثورتها فحرض مسلمى الهند على القيام بثورة داخلية بقصد شغل انجلترا عن ثورة مصر خدمة لاخوانهم المصريين .

ولكن عندما فوجىء الانكليز بهذا شعروا بخطر السيد جمال فأبعدوه الى « كلكتا » كى لايتصل بالمصريين وشددوا عليه الرقابة ، واحاطوه بالجواسيس ولم يمكث فيها الا سبعة أشهر .

وفى أثناء اقامة السيد جمال بكلكتا انتهت الثورة العرابية فى مصر بفشلها ونفى الامام محمد عبده الى « بيروت » وأرسل الى السيد جمال الدين خطابا يخبره فيه عن حاله ، وما انتهى اليه أمره من نفى واضطهاد ، وتعذيب ، وتنكيل ..

وانك لتتبين من خلال هذا الخطاب منزلة السيد جمال فى نفس الامام وما يكنه له من حب واخلاص ، وما يقدمه له من

فروض الطاعة ، وما يضمره له من أخلص وفاء ، وما يعترف بـه من حق الأستاذية ومقام الأبوة

ولقد حدثنى أحد تلامذة الامام قائلا :

« ان الامام كان يتحاشى أن يتحدث عن السيد جمــال الدين فاذا ما دعته الضرورة التى لا مفر منها الى ذكره ، فتحدث عنـه ولو بعبارة بسيطة أو بطريق الاشارة . أخذته رعدة قــوية ، ودمعت عيناه » وأخبرنى أن الامام قال لهم ان صلته بالســيد جمال ليست صلة تلميذ بأستاذه فحسب ، ولا صلة أخ بأخيـه ولكن هى صلة حب تمكن فى القلب

وهذه فقرات من خطاب الامام اقتطفناها منه لما فيها من حكم عالية ، وأخبار طريفة ، وعبارات شيقة مكتفين بها مراعــــاة للاختصار .

**« .. اوتيت من لدنك حكمة اقلب بها القلوب ، واعقل العقول واذل بها شوامخ المصاعب . واتصرف بها فى خواطر النفوس . ومنحت من لدنك عزيمة اتعتع بها الثوابت . واصدع بها شــم المشاكل . واثبت بها فى الحق حتى يرضى الحق وكنت أظن ان قدرتى غير محدودة . ومكنتى لا مبتوتة ولا مقدورة فاذا أنا من الأيام كل يوم فى شأن جديد . »**

ومنه : انى يا مولاى لا أحدثك عن شىء مما أصابنـــا بعد فراقك فقد تكفل بيانه أخى العزيز ابراهيم افندى اللقانى سوى ما تركه فى كتابه من انقلاب بعض القلوب من خاصتك .. حتى أنهم غيروا قلب « دولتلو رياض باشا »عليك وعلى تلامذتك الصادقين أياما معدودة ركن فيها للعمل بالشدة .. ولكن زال مـــا لبس المبطلون . وبطل كيدهم وما كانوا يعملون ونزلت عنده منــزلة حسدنى عليها الكافة من العلماء والأمراء ورجال الحكومة وقعدت من كل أمير مصعد النفس فلا ينطق الا بما تريد حكمتك ولا يعمل

الا ما تشاء ارادتك فكأنك ـ وحقك ـ كنت بين أظهر المصريين ساعيا فيهم الى مقاصدك العالية طالبا بهم أوج السعادة وذروة المجد والفخار .. وألفت لحبك ممن حرم التشرف بلقائك قبيلا ليس بالقليل يجلون قدرك ويعرفون لك فضلك وكنا واخواننا كما شرح لك ابراهيم افندى اللقانى

ولكن هذا لم يلهنى عن طلب الانتصار لك وكدت أصل الى ذلك من طريق مألوف ومذهب معروف ولكن غلبنا على الأمر قطاع طريق الخير اللابسين ثياب الأنبياء انتحلوا طريقتنا فى الدعوةالى الحرية وتمكنوا بقوة السيف وضعف الحكومة من اقناع العامة بكونهم دعاة الحق ، وحماة القانون

وهانحن سالكون فى سنتك وعلى سننك وكنا كذلك ولا نزال الى انقضاء الآجال . ولولا أطفال لنا رضع . ونساء لنا طوع ابينا لهم الذل • وأنفنا لهم الضيم فاتينا بهم الى هنا حيث أقمنا لكنت أول من تلقاك فى مدينة باريس لأسعد بالاقامة فى خدمتك وافخر بذلك على العالمين

**محمد عبده**

هذه فقرة من كتاب الأستاذ الامام الى استاذه السيد جمال الدين وانك كلما اطلت النظر فيما حوته من معان لبلغت منك الدهشة . ولأرتك كيف كان تقدير ذلك الامام لأستاذه . وتقديسه لمبادئه وتعليماته .

# جمال الدين فى اوربا

## فى لندن

شخص جمال الى أوروبا بعد أن أقام بالهند نحو ثلاث سنوات فاق مجهوده العلمى فيها مجهوده السياسى حيث وضع عدة رسائل كما قدمنا .

وذهب بعض المؤرخين الى أنه سافر خلال هذه المدة الى (أمريكا) ومن هؤلاء « ولسن » اذ يقول فى كتابه « الحركات الحديثة » « ان جمال الدين سافر أيام كان فى الهند الى أمريكا ليتجنس بالجنسية الأمريكية ، ولكنه لم يقم بها » .

ولا نستطيع أن نسلم بهذه الرواية لأن ( براون ) وهو الذى كان صديقا حميما للسيد لم يشر الى سفره الى أمريكا فى ترجمته له فى كتابه ( الثورة الفارسية ) ويقول المستر بلنت وهو صديق أيضا للسيد جمال فى كتاب ــ التاريخ السرى ــ

« ولقد ذهبت عبثا كل الجهود التى بذلتها لمعرفة مقر السيد جمال الدين فى أمريكا حيث قيل لى انه ذهب اليها بعد أن قضى عامين يتجول فى الهند » .

وقال ميشيل فى مقدمة رسالته : أن رسائل جمال التى لم تنشر والتى أتيح لنا الاطلاع عليها تدل على أنه لم يكن من الممكن أن يقوم بهذه الرحلة .

وسواء تحققت رواية سفره الى أمريكا أم لم تتحقق فنحن لا يعنينا من ذكر البلاد التى سافر اليها الا ماتركه من الآثار والأعمال التى ترغمنا على الاعتراف بوجوده فيها

وعلى كل فقد بارح السيد جمال الدين بلاد الهند فى منتصف سبتمبر سنة ١٨٨٣ بعد أن قضى فى كلكتا ـ مايربو على السبعة أشهر فى معزل عن الحياة ، انقطع عنه البريد فيهـــا ، ومنعت رسائله ، وحرموا عليه قراءة الصحف • ومن هو مثل جمال الدين لايستطيع أن يمضى عليه يوم بلا اطلاع على الصحف ، ودون أن يلم بأخبار العالم الاسلامى فمضت عليه تلك المدة ، وكان يعتبر نفسه أنه فى مقبرة مظلمة •

أطلق سراح السيد بعد احتلال انجلترا مصر فسافر من الهنـد بحرا عن طريق البحر الأحمر قاصدا ـ لندن ـ فودعه رجال الهند وعلماؤها أحسن وداع وأثنوا عليه بأطيب عبارات الثناء •

ولما وصل السيد الى ـ بورت سعيد ـ كتب الى الأستاذ الأمام كتابا اخبره فيه بسفره وذكر له المدينة التى سينزل بهـا وكـان الامام قد حكم عليه بالنفى من القطر المصرى وملحقاته لمدة ثلاث سنوات كما حكم على كثير من تلاميذ الحكيم الذين اتهموا فى الثورة العرابية الى مدد مختلفة من سنة الى عشرين سنة وكانت تهمهـم ـ جريمة العصيان ••

وصل السيد جمال لندن عاصمة بلاد الانكليز ، وأقام بهـا أياما فلم يطب له المقام فيها لأن الانكليز عملـوا على اضطهاده وتعذيبه ، لأن الذين لم يقبلوه فى داره وحاربوه فى بيته لا بد أن يعملوا على رحيله من عاصمة بلادهم •

**وقد التقى السيد جمال الدين فى لندن بالفيلسوف الـكبير « هربرت سبنسر » فسأله هذا قائلا ماهو العدل ؟**

**فأجابه السيد جمال قائلا : ـ يوجد العدل عند ماتتعـــادل القوى** •• وانما أجاب هذاالجواب لأنه يعلمأن الفيلسوف الانكليزى لاينتظر غير هذا الجواب ، وان التبحر فى الخيالأو التعلق بأهداب المثل العليا في وصف العدل لن يجدي لدى فيلسوف أمة عرفت بما عرفت به الأمة الانكليزية !

**فدل السيد جمال بهذا على أنه رجل عمل ، وأنه داهيـــة فى السياسة ، وأنه سريع البديهة ، قوى الحجة مشتعل الذكاء بعيـد المرمى •**

**يوجد العدل عندما تتعادل القوى ! أما اذا تفاوتت فيســـقط العدل ولا يبقى له وجود ، أما اذا تفاوتت فلا شك فى أن يلتهـــم القوى الضعيف ، أما اذا تفاوتت فتبدو الانسانية فى ثوب التوحش . أما اذا تفاوتت فالحق للقوة !**

## فى باريس

غضب الانكليز فى وجه السيد جمال فلم يقبل البقاء بينهـــم، فانتقل الى باريس عاصمة فرنسا تاركا لندن غير مبال بمن فيها •

سافر السيد الى باريس بعد ان اقام فى لندن مـــدة يسيرة لاندرى عن مراسلاته مع تلميذه الامام فيها شيئا

**وهناك فى باريس بدأ السيد جمال حياة جديدة لخدمة الاسلام والشرق وكتب فى الصحف الفرنسية مقالات زلزلت الحكومـات الاستعمارية ، وبالأخص الحكومات البريطانية وقابلههناك الفلاسفة والحكماء الذين أعجبوا به واعترفوا بقوته ، وقدرته نذكر منهـــم (( هانوتو )) ، (( أرنست رينان ))** الذى دار بينه وبين السيد جمال حوار فى أمهات الصحف الفرنسية • جريدة الديبا ـ فى موضوع الاسلام والعلم وكانت المناقشة تدور بينهما حول صلاحية الاسلام وقابليته للمدنية الحديثة •

**وقف السيد جمال للفلاسفة يناضل مع الحق ، ويدفع الباطل، يدافع عن الضعفاء ويعمل على رفع الظلم • وقف لهم مدافعـــا عن الاسلام مثبتا لهم ـ ما هو من الحقيقة بمكان ـ أن الاسلام متمش مع المدنية فى جدود المعقول ، وانه دين عام خالد •**

وقف السيد جمال موقفا يغبطه عليه كل فيلسوف فأكبروا فيه عبقريته وسعة علمه وقوة حجته مما جعل (رينان ) يقول عنه بعد أخذ ورد ونقاش فى الموضوع اقتنع بعده :

**« يخيل الى من حرية فكرة ونبالة شيمه وصراحته وأنا أتحـدث اليه أننى أرى وجها لوجه أحد من عرفتهم من القدماء الفلاسـفة ، وانى أشهد ابن سينا ، أو ابن رشد ، أو أحد من عرفتهم من أساطين الحكمة الشرقيين الذين ظلوا خمسة قـرون يعملون على تحـــرير الانسانية من الاسار »**

ولقد دارت بعد ذلك مناقشة بين السيد ، وبين ( رينان ) ، « نيوفيل جوتيه » الذين ذهبا الى أن العالم شطران ، سامى ، وآرى يحاولان من ذلك استنباط خصائص المزاج العقلى فى كل منهما ثـم ذهب بعضهم الى أن العقل السامى يجمع بين الأشياء متناسبة وغير متناسبة بدون ارتباط بينها • أما العقل الآرى فهـو يؤلف بين الأشياء بارتباط يصل البعض بالبعض ولا ينتقل من أمر الى أمر الا بعد تدرج •

فانبرى لهم السيد جمال الدين وصدهم عن هذه الآراء مثبتا لهم ان مسألة التفريق بين المزاجين السامى والآرى انما هى كالشعوب ترجع فى الحقيقة الى العصبية أكثر من رجوعها الى العلم •

ولم تنقطع المناقشات فى هذا الموضوع بعد وفاة السيد جمـال بل وقف لصدهم ومهاجمتهم الاستاذ الامام محمد عبده وقد وضـع رسالة فى هذا ••

**هذا ولقد كتب السيد جمال مقالا ضافيا عن الانسان الراقى ـ تحت عنوان (( الانسان الراقى ملاك أرضى ))**

جاء فيه : فمما يلزم الاعتقاد بأن الانسان أشرف المخلوقات ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصناعات الحيوانية ولا ريب أنه كلما قوى هذا الاعتقاد اشتد به النفور عن مخالطة الحيوانات فى صفاتها وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلى ، وكلما سما عقله أوفى على المدنية وأخذ منها بأوفر الحظوظ حتى قد ينتهى الحال الى أن يكون واحدا من أهل المدنية الفاضلة يحيا مع اخوانه الواصلين معه الى درجتـــه على قواعد المحبة ، وأصول العدالة . وتلك نهاية السعادة الانسانية فى الدنيا ، وغاية ما يسعى اليه العقلاء والحكماء فيها .

فهذه العقيدة أعظم صارف للانسان عن معارضة الحمر الوحشية فى معيشتها والثيران البرية فى حالتها ومضاربة البهائم السائمة والدواب الهاملة ، والهوام الراسخة لا تستطيع دفع المضـــار ولا تهتدى طريقا لحفظ حياتها وتقضى آجالها فى دهشة الفزع ووحشة الانفراد .

هذه العقيدة أشد زاجرا لأبناء الانسان من التقاطع المـــؤدى لافتراس بعضهم بعضا كما يقع بين الأسود الكاسرة ، والوحوش الضارية ، والكلاب العاقرة وأشد مانع يدفع صاحبها من شاكلة الحيوانات من خسائس الصفات وهذه العقيدة أنجح داع للعقل فى استعمال قوته . وأقوى فاعل فى تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل .

ان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لايعتقدون هذا الاعتقاد بل يظنون أن الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصـــدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل والى أى حدتصل بهمالشرور وبأى

منزلة من الدناءة تكون نفوسهم كيف أن السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية ٠

**بهذا الاسلوب كان السيد جمال يخاطب الفلاسفة والعلماء ويكتب فى أمهات الصحف والمجلات ٠**

فلينظر من شاء فى نواحى الرجل وليتخذ من أحواله الجزئية سبيلا لحكم عام يجعله ميزانا

كان السيد جمال كما رأيت يستطيع أن يناضل أكبر فلاسفة الغرب من الذين يتمشدق كثير من الناس بأنهم يعلمون بعضاً من بحوثهم ويحفظون كثيرا من مأثورهم ٠ كان السيد جمال يناضل هؤلاء ويحاججهم فى كبريات المسائل التى تعد أمهات الشئون الاجتماعية والسياسية والتى هى مثار الخلاف فى كثير من فروع البحوث فى الاجتماع والدين والسياسة ٠

كان السيد جمال الدين يدافع هؤلاء الفلاسفة فيدفعهم ان لم يصرعهم ثم يبقى بعد على كرامة الشرق ويحافظ على قواعد الاسلام ذاهبا بها فى جو السماء ضاحية واضحة ظاهرة ظافرة قاهرة حتى ينظر اليها ــ من كانت هى أحط الشئون فى نظره ــ بنظره الى أكبر معبود مقدس وكذلك استطاع السيد جمال أن ينبه العالم أجمع الى جمال الاسلام وجلاله وعزته وكبريائه ٠

**ناحية فى جمال الدين لايقوم بها سواه الا من نفخ فيه من روحه من أمثال الاستاذ الامام وهو مسلك له خطورته وهو العماد الذى قامت عليه دعوة الاسلام فدخل الناس فى دين الله أفواجا**

**فرحمك الله ياجمال الدين فقد سددت للاسلام وللشرق ثغورا ماكان يسدها غيرك ٠**

# العروة الوثقى

بعد عام من مقام السيد جمال الدين فى أوروبا متنقــلا بين مدنها أى فى سنة ١٨٨٤ أرسل الى تلميذه الامام محمد عبــــده بالحضور وقد كان منفيا فى بيروت بسبب الثورة العرابية ـ فأجاب دعوة أستاذه ، وسافر توا الى أوروبا ثم التقيا هناك فى باريس وكان السيد جمال قد انشأ جمعية من مسلمى الهند ومصر وشمال أفريقيا وسوريا وغيرها أسماها « جمعية العروة الوثقى » وأسندت الجمعية رياستها الى السيد وكان مقر هذه الجمعية مدينة باريس وكانت مؤلفة من عقود كثيرة ولها قانون محفوظ فى الصدور لم يطبــــع خشية أن يعرفه من ليس من أعضائها وكان هذا سببا فى فقدانه

وللجمعية يمين يقسمه الاعضاء عند الانتســاب اليها وها هو نصه :

**أقسم بالله العالم بالجزئى والكلى** ، والجلى والخفى ، القائم على كل نفس بما كسبت ، الآخذ لكل خارجة بما اجترحت لأحكمــن كتاب الله تعالى فى أعمالى وأخلاقى بلا تأويل ولا تضليـــل ولأجيبن داعيه فيما دعا اليه ، ولا أتقاعد عن تلبيته فى أمر ولا نهى ولأدعون لنصرته • ولأقومن بها ما دمت حيا ، لا أفضل على الفوز بها مالا ولا ولـــدا •

**أقسم بالله مالك روحى ومالى القابض على ناصـــــيتى المصرف لاحساس وجدانى** الناصر لمن نصره الخاذل لمن خذله لأبذلن ما فى

وسعي لاحياء الأخوة الاسلامية ولأنزلنها منزلة الأبوة والبنـــوة الصحيحتين ولأعرفنها كذلك كل من ارتبط برابطة العروة الوثقى وانتظم في عقد من عقودها · ولأراعينها فى غيرهم من المسلمين الا أن يصدر عن احد مايضر بشوكة الاسلام فانى أبذل جهدى فى ابطال عمله المضر بالدين وأخذ على نفسى فى أثره مثل ما آخذ عليهـــا فى المدافعة عن شخصى ·

أقسم بهيبة الله وجبروته الأعلى الا أقدم الا من قدمه الدين ، ولا اؤخر الا ما أخره الدين · ولا أسعى قدما واحدة أتوهم فيها ضررا يعود على الدين جزئيا كان أو كليا وألا أخالف أهل العقد الذين ارتبطت معهم بهذا اليمين فى شىء يتفق رأى أكثرهم عليه وعلى عهـــد الله وميثاقه أن أطلب الوسائل لتقوية الاسلام والمسلمين ، وما جهلتـــه أطلب علمه من العارفين ، لاأدع وسيلة حتى أحيط بها بقدر مايسعه امكانى الوجودى . وأسأل الله نجاح العمل وتقريب الأمـــل وتأييد القائم بأمره والناشر لواء دينه

لم يمر وقت على انشاء تلك الجمعية حتى رغبت فى أن يكون لها مجلة تعبر عن أغراضها وغايتها فعهدت الى السيد جمال وتلميـــذه الإمام محمد عبده بانشاء « مجلة العروة الوثقى » فكانت هذه المجلة جامعة بين روح جمال الدين وقلم الشيخ محمد عبده فجمعت بين قوة المعنى ورصانة اللفظ · وكان لكتاباتها أثرها الفعال فى المسلمين لما كانت تدعو اليه من احياء مجد الاسلام · والعمل على رفع شـــأن المسلمين فأخذت من قلوب الأمم الاسلامية والبلاد الشرقية مالـــم يأخذه وعظ الواعظين وارشاد المرشدين فأيقظت الروح الوطنيـــة وأحيت فيهم شهامة العرب وعزتهم ونبهتهم الى خطر الاســـتعمار وسياسته فكانت لاتقع فى يد مسلم ويقرأ فيها ماأصاب المسلمين من التأخر الا ويحز الألم فى نفسه وتجيش النخوة الاسلامية فى صدره وكان لها أبلغ التأثير فى تغيير مجرى حياة الكثيرين من علمـــاء الاسلام وزعماء الاصلاح فيه ·

وبينما العالم الاسلامى يتمنى لها البقاء طويلا ويرجو لها الذيوع والانتشار اذ بالانكليز يتنبهون الى مافى تلك الجريدة من الافكار الحرة المهيجة لشعور المسلمين والمثيرة لخواطر الشرقيين ضـــد الاستعمار فعملوا على منعها من الديار المصرية والهند

ومعاكستهما فى كل مكان حتى خفت صوتها ولم تمض سنة على ميلادها اذ طلع أول عدد منها فى ٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٠١ الموافق ١٣ من مارس سنة ١٨٨٤ وصدر آخر عدد منها فى ١٦ من أكتوبر سنة ١٨٨٤ فلم يصدر منها سوى ثمانية عشر عددا ووقـــع خبر مصادرتها على البـــلاد الاسلامية كالصاعقة يصم الآذان دويها وقوبل عمل انكلترا بالاستهجان والاستنكار فى جميع الانحاء ٠

لم يكد يظهر العدد الأول من الجريدة حتى انعقد مجلس النظار المصرى فى القاهرة واهتم بالبحث فى شأن « العـــروة الوثقى » ثم اصدر قراره الى نظارة الداخلية المصرية قاضيا عليها بأن تشتد فى منع هذه الجريدة عن دخول الاقطار المصرية وتراقب جولاتها فى تلك الديار فصدر أمر الداخلية الى ادارة عموم البوسطة يلزمها بالدقة فى ذلك ثم أعلنت الجريدة الرسمية بعد نشرها الخبر أن كل من توجد عنده العروة الوثقى يغرم مبلغا من خمسة جنيهات مصرية الى خمسة وعشرين جنيها ٠

ولكن هذه الوعود وتلك التهديدات وذاك الاحتياط الشديد من جانب البوسطة لم يمنع الجريدة من دخول مصر

نشرت الصحف خبر هذا الأمر ومصادرة الجريدة فاطلع السيد جمال عليه هو وتلميذه الامام فكتبا مقالا ينددان فيه بسياســـة الانكليز نقتطف منه الآتى :

لانظن أن احدا من النظار المصريين له رأى اختيارى فى هـــذا القرار بل لانتوهم فى المستوى على كرسى الخديوية ميلا الى مثل هذا

الحكم ولا يختلج فى صدورنا أن مصريا من أى مشرب كان ســواء المسلم أو غير المسلم منهم بل ولا شرقيا ممن يسكن تلك البلاد يرى فيه جانبا من العدل

هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين والاستنجاد لهم ، ولها سعى - بل كل السعى - لخيبة آمال أعدائهم ؛ ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح فى عمرو ، فان المقصد أعلى وأرفع من هذا . وانما عملها سكب مياه النصح على لهب الضغائن لتتلاقى قلوب الشرقيين عموما على الصفاء والوداد . تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضــوارى التى فغرت أفواهها لالتهامهم ومن رأيها أن الاشتغال بداخل البيت انما يكون بعد الأمن من طرق التأهب .. ولكنا نعلم أن حركات الآمرين فى القطر المصرى هذه الأيام قهرية لا يخالطها شىء من الاختيار والمدير لرحى القهر عليهم هم عمال الانكليز .

هذه هى جريدة العروة الوثقى .. جريدة السـياسة والأدب والحكمة والفلسفة والتاريخ .

**وكان أسلوبها رزينا بليغا عذبا سلسا فيه قوة ولين ومعــان بلغت حد الدقة والكمال كأنها ليست من أفكار البشر بل هى عن الكثير منهم أبعد منالا من الجوزاء فى افق السماء .**

**وكانت كالصاعقة الشديدة التى تنزل بالقوم فتجعلهم فى ذهول وحذر وتتركهم وبهم ألم ممض وفى نفسهم حزن عميق فهى تزلزل الاستعمار ودوله وتقوض عرش الاستبداد .**

وهذه هى جريدة العروة الوثقى اهتز منها الانكليز حكومة وشعبا وجعلوا منها خصما لهم يكافحونه ويحـــاربونه تارة بالمصــادرة وطورا بالكتابة عنها والدعاية ضدها وهى رابضة لهم مزعزعة لعرشهم مستهينة بقوتهم ساخرة بأوج عظمتهم .

هذه هى الجريدة التى ماوقف الانكليز على خبر انشائها حتى أخذت أرباب الصحف فيها الحدة واحتدمت فيهم نار الحمية وأنذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة فى سياسة الانكليز ونفوذها فى بلاد المشرق وألحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع الجريدة عن الدخول فى البلاد الهندية والمصرية بل تطرفوا فنصحوها أن تلزم الحكومة العثمانية بالحجر عليها ولم ينل كل هذا منها شيئا ولا حرك ساكنا ولم يمنعها قانون مصادرتها عن تلك البلاد من الدخول فيها وتداولها ومدارستها .

نعم كانت كلها قوة وكلها الهاما يقرؤها القارىء فما يكاد ينتهى حتى تتأجج فى أرجاء صدره النار ويغلى فى عروقه الدم فتشتعل فى نفسه ثورة المستميت لاسترداد حقه

**تلك هى الجريدة وهذا مقدار تأثيرها فى نفوس الأفراد والشعوب فالعقول المستنيرة ، والأفكار اليقظة والأمم الناهضة والشعوب المتحدة والهمم القوية والأخلاق القويمة كل هذا نتيجة العروة الوثقى .**

# جهاد السيد جمال فى سبيل السودان

ظل جمال الدين طيلة حياته العدو اللدود لبريطانيـــا فكان يناصبها العداء فى كل بلد يحل فيه ويخلق لها فى مستعمراتهـــا المشاغبات والثورات وينعى على سياستها فى الشرق الاسلامى ويتحين لها الفرص لتقويض دعائم سلطانها واقصائها عن بلاد الشرق فمـا قامت ثورة « محمد أحمد » المعروفة بالثورة المهدية بعـد احتلال انكلترا مصر حتى اتصل الحكيم وتلميذه الامام وهما بأوربا أيام كانا يصدران العروة الوثقى « بمحمد أحمد » القائم بدعوة المهدية ووقفا على ما كان يرد لانكلترا من رسائل اتباعها فى مصر والسودان من الأخبار فأخذا يعظمان أمره ويبالغان فى قوته ومقدرته ويوهمان الانكليز بأن المهدى هذا هو صاحب الأمر النافذ والكلمة المطاعة فى القبائل السودانية وأنه رجل شديد الذكاء واسع الخبرة قـــوى الحجة محبوب من العامة والخاصة تهابه الناس ويجله الكبـــراء . حتى أقنعاها بترك السودان أو الانسحاب منه وفعلا شرعت حكومة الانكليز فى هذا فعمدت الى ابرام معاهدة بينهم وبين السودانيين لم يحل دون امضائها الا وفاة محمد أحمد هذا فنكصت انجلـــترا عن عهدها ، ونقضت ما أبرمته من قبل .

وكان غرض السيد فى المسألة السودانية اخراج الانكليز من مصر والسودان فاذا لم يتيسر ذلك سعى الى اقناعهم بترك السودان بتكبير الثورة المهدية فى نظرهم والتهويل فى خطرها .

.. فاذا ما تم ذلك استطاع أن يذهب السيد وتلميذه الى السودان خفية وينظما فيه الثورة توسلا لانقاذ مصر وتأسيس دولة قوية يعتز بها الاسلام والشرق .

وهكذا جاهد كل من جمال الدين ومحمد عبده فى سبيل انقاذ مصر ورفع راية الاسلام وتنكيس دولة الانكليز فى البلاد الاسلامية مما اضطر اللورد « سلسبورى » ، « تشرشل » أن يستدعيا جمال الدين للتفاهم معه فى مسألة المهدى فأظهر لهما خطأ انكلترا السياسى خصوصا نحو دول الاسلام فى الشرق . فقالا لجمال الدين ان بريطانيا تعلم مقدرتك ونحن نقدر رأيك قدره ونحب أن نسير مع حكومات الاسلام بمودة وولاء على قدر ماتسمح لنا به الظروف، لذلك تصورنا أن نرسلك الى السودان بصفة سلطان عليه . فتستأصل جذور فتنة المهدى ، وتمهد السبيل لاصلاحات بريطانيا فيه . **فرد عليهما السيد جمال ساخرا اذ قال : تكليف غريب ، وسفه فى السياسة ما بعده سفه .. اسمح لى ياحضرة اللورد أن اسألك هل تملكون السودان حتى تريدوا أن تبعثوا اليه بسلطان ؟! مصر للمصريين والسودان جزء متمم لها ، وصاحب الحق الخليفة الأعظم حى يرزق ولديه من الجيش المادى والمعنوى ما يتذلل معهما كل صعب وفتنة فى أجزاء الممالك الاسلامية وان كان هدفكم هو مجرد الاصلاح فانى ألفت نظركم الى ايرلاندا وما تعانيه من ضروب البلاء فيما تنشده لنفسها من طلب الاستقلال ليتسنى لها سلطة الاصلاح الحقيقى لبلادهم . فلماذا لا تجيبونهم وهم أقرب اليكم وبينكم وبينهم من الجامعات ما هو معدوم لكم فى مصر والسودان وغيرهما من ممالك الشرق .**

وقد كتبا مقالا قالا فيه :

**« لا عار على أمة قليلة العدد ضعيفة القوة اذا تغلبت عليها أمة أشد منها قوة وأكثر سوادا وقهرتها بقوة السلاح وانما العار الذى**

**لايمحوه كر الدهور ولا ينسيه تطاول الأزمان هو ان تسعى الأمــة أو أحد رجالها أو طائفة منهم لتمكين أيدى العدو من نواصيهم .**

علينا أن نرفع أعلام المحبة الوطنية ونحمل عوامل الشهــامة الاسلامية ونوقد ميزان الغيرة الجنسية لنخيب آمال الانكليز ونرد كيدهم فى نحورهم ونقذف بأولئك المغفلين الــذين يميلون اليهــم خارج تخوم هذه الحياة ليلحقوا بالخائنين ممن سبقهم ويذوقــوا عذاب الهون بما كانوا يكسبون هذا اذا حصل اليأس من تيقظهم ورجوعهم الى الحق والصدق فى محبة الأوطان ورعاية مصالحها فان تابوا وأصلحوا وأنابوا كان الحق ظهيرهم وكان الله دليلهم ونصيرهم».

# جمـال الدين فى فارس

خفت صوت جريدة العروة الوثقى كما خفت صوت « جماعـة أم القرى » من قبل وبعد أن صودرت الجريدة رحل الامام محمد عبده الى سوريا — وقد كان جمال استدعاه الى باريس ليشتركا معا فى تحريرها كما تقدم — ثم مكث بها مدة يسيرة انتهت بها مدة نفيه . فتوسط له بعض رجالات مصر لدى الخديوى فأبيحت له العودة الى مصر .

بقى السيد جمال الدين فى أوربا متنقلا فى بلادهـا بين لندن وباريس كاتبا فى المجلات والصحف مناديا الفضيلة مستغيثا بالعدل مظهرا للراى العام تصرفات الانكليز فى الشرق الى أن تألفت لجنة من ( المستر بلنت ) ، ( اللورد تشرشـل ) ، ( اللورد سلسبرى ) للتفاهم مع السيد جمال الدين فى مسألة السودان بعد ثورة المهدى كما تقرر أيضا أن تذهب بعثة بريطانية بصحبة السيد الى الآستانة للتفاهم مع السلطان عبد الحميد للوصول الى اتفاق يتضمن الجلاء عن مصر وتحالفها مع تركيا وايران وأفغانستان ضد روسيا .

ولكن بعد أن استعد الحكيم السفر وبعد أن حجزت له تذكرة السفر نقضت انكلترا عهدها ورفضت سفره فاغتاظ السيد لهذا واشتد حنقه عليهم وبقى مستمرا فى كتاباته وخطاباته المثيرة باحثا فى سياسة روسيا وانكلترا والدولة العلية ، ومصر وترجمت جرائد انكلترا كثيرا منها لتتعرف مايكتبه السيد ضدها من المسـاوىء ويفند من المظالم .

بقى على هذا مجاهدا فى الحق داعيا للعدل عاملا لانصاف الدول الضعيفة الى أن عزم على السياحة فىالبلاد العربية ، من نجـــد فالحجاز فالعراق وبينما هو على هذه الأهبة استقدمه شاه الفرس اذ ذاك المرحوم ناصر الدين شاه على لسان البرق وشدد فى الدعوة فذهب السيد جمال فى جمـــادى الاولى سنة ١٣٠٣ ( فبراير سنة ١٨٨٦ ) .

ذهب السيد الى فارس بعد أن مضت مدة طويلة وهو بعيـد عنها .. سار السيد جمال قاصدا ( طهران ) فالتقى فى أصفهان بالأمير ( ظل السلطان ) فلاقى منه اكراما واستقبله استقبالا رسميا حتى اذا وصل ـ طهران ـ استقبله الشاهأحسن استقبال فماكادت قدماه تطأ أرضها حتى استقبل استقبالا باهرا من الأمراء والعلماء والعظماء وأشادوا بفضله وعينه الشاه وزيرا للحربية مع صــفة مستشار خاص للشاه على أن يرقيه بعد قليل الى منصب الصدارة وأكثر الشاه من الثناء على جمال حيثما ذكر حتى فى بلاطه وبين أهله وأولاده .

وكان جمال الدين قد درس أخلاق الأمم وعرف تواريخ الدول وتدبر أحوال السياسة على اختلاف الأمكنة والأزمنة مع بلاغتـــه وقوة برهانه فقام بأعباء النظارة والاستشارة خير قيام ، وفى نفس الوقت كانت لهجته شديدة وصريحة بلزوم تغيير كل قديم مـن ادارة الحكومة الفارسية ، وبضرورة الأخذ بانهاض الأمة ،ومشاركتها فى حكم ذاتها فالتف أمراء الفرس وعلماؤها حوله ، وأقسموا له أنهم يصدعون بما يأمر به ، فأشار بعدم التسرع .. فنال منزلة عند أهل الفرس قل أن ينالها غيره فأصبح منزله حلقـــة علـــم يؤمها سراة البلاد ووجهاؤها ويتسابقـــون الى سمـــاع حديثـه فتضاعف عـــدد انصاره ومريديه لغزارة علمـه وسحـــر بيانه وفصاحة لسانه وغيرته القوية عـــلى مصلحة البلاد واتســـع نفوذه وأصبح أمره مطاعا وطلبه مجابا ذا سلطان قـوى وشـوكة

شديدة لا على المستنيرين وأصحاب المناصب فحسب ولكن على كل الناس ، فخاف الشاه على سلطانه ، وخامره ريب من أمره ، فتنكر له .. وقام العلماء الجامدون من جانبهم بما طبعت عليه نفوسهم من الحقد والحسد يضطهدون جمال الدين ويشوهون سمعته ولكن السيد جمال ذا الاحساس الشديد والنفس الأبية أحس بهذا التشنيع من جانب الأمير والعلماء فاستأذن الشاه فى السفر الى روسيا لتجديد الهواء فلاقى هذا الطلب ارتياحا فى نفس الأمير وسرعان ما أذن له .

# جمال الدين في روسيا

سافر السيد جمال الدين الى روسيا ونزل « موسكو » فلاقاه أهلها بالتجلة والاكرام لما سبق الى مسامعهم من شهرته ثم شخص منها الى « سان بطرسبرج » عاصمة روسيا ، فاستقبل فيها بالحفاوة والترحاب وتعرف بأعاظم رجالها من العلماء والسياسيين وكان فيها موضعا لاكرام القيصر وتقدم اليه رجال الصحافة طالبين منه أن يكتب لهم فكان لمقالاته عن سياسة أفغانستان وايران وتركيا وبريطانيا أثر عميق فى الدوائر السياسية .

وكان مما خدم به المسلمين هناك اقناع القيصر بحسن معاملة المسلمين والاذن لهم بطبع المصحف الشريف وبعض الكتب الدينية فأذن بذلك وقد نشرت جريدة ( الفلاح ) التى كانت تصدر فى القاهرة مقالا فى هذا الموضوع .

.. ولقد أوسعوا له فى المملكة الروسية مجالا ، وسمعوا لأحاديثه ، وانتصروا لسياسته . حتى ان القيصر دعاه لقصره ، وتحادث معه طويلا ، وسأله عن سابق اختلافه مع الشاه ، فذكر له رأيه فى الحكومة الشورية ونفرة الشاه منها ، فقال قيصر : : انى أرى الحق فى جانب الشاه ، اذ كيف يرضى ملك من الملوك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته ؟! **فأجاب جمال بجرأة (( اعتقد ياجلالة القيصر ان عرش الملك اذا كانت الملايين من الرعية أصدقاء له فذلك خير له من أن تكون اعداء ))** ، فغضب القيصر ، وقام من مجلسه ، وودع

السيد بغير الحفاوة التى استقبله بها ، ثم أوعز إلى رجال بلاطه ان يسرعوا متلطفين باخراجه من روسيا .

## سفره الى فارس :

وبينما هو فى ( بطرسبرج ) زارها شاه ايران ناصر الدين واظهر هناك رغبة فى لقاء السيد جمال فبلغ السيد ذلك فرفض ولم يحفل به .

واتفق اذ ذاك أن فتح معرض باريس سنة ١٨٨٩ فشخص جمال اليها وكان قد سبقه الشاه ليشاهد المعرض فالتقيا فى « ميونخ » عاصمة « بافاريا » وكان الشاه عائدا من باريس فدعاه الى مرافقته وألح عليه الشاه ــ مع العلم بأنه هو الذى ارتاب فى أمره مما جعله يسافر الى روسيا ــ فى العودة الى فارس حتى لان له وأجاب الدعوة وسار فى معيته الى فارس فلم يكد يصل طهران حتى عاد الناس الى الاجتماع به والانتفاع بعلمه وقوبل بمثل ماقوبل به فى المرة الأولى بل اكثر .

وبطول اقامته واختلاطه بمحبيه جمع بين السلطة العلمية والعملية وبدت نهضة اصلاحية حيث تولى رئاسة الوزارة ولقد قال السيد جمال نفسه فى بعض مجالسه فى الآستانة للشيخ عبد القادر المغربى ان بعض الكبراء من ألمانيا وغيرهم جمعونى بالشاه ناصر الدين فرغب إلى أن أذهب معه الى بلاده ليجعلنى رئيس وزارته فأبيت لأنى عزمت على الذهاب الى معرض باريس ولا أحب أن انقض عزمى فألح على بالذهاب معه وكان يقول عنى هذا رجل العالم السياسى الحربى الجدير بأن يكون رئيس وزارة ويقوم بتدبير الشعب . فقال له الشيخ عبد القادر كيف يدعوك الى ذلك وأنت مشهور بشدة رغبتك فى تشييد عقائد أهل السنة فقال السيد : جنون وهوس منه . وبعد أن مكثت مدة فى بلاده طلبت

الذهاب الى اوربا فمنعنى وسمعت منه كلاما خشنا فى حقى وآراء ردیئة مآلها الحجر على فى بلاد ايران فأعملت الحيلة وذهبت الى مقام عبد العظيم وهو من أحفاد بعض الأئمة ومقامه حرم من دخله كان آمنا فمكثت هناك سبعة أشهر كتبت فى أثنائها عدة مقالات وحررت في الجرائد جملة كتابات فى مثالب الشاه المذكور وحث الشعب على خلعه » .

بقى السيد جمال الدين هذه المدة وما ارتاب الشاه فى أمره كأن سياحته فى أوربا محت كثيرا من شكوكه فكان يقربه منه ويوسطه فى قضاء كثير من مهمات حكومته ويستشيره فى سن القوانين ونحوها وفى هذه الآونة رغب اليه المتفقهون من علماء فارس وساستها أن يرسم لهم قوانين دستورية تجزى الأحكام فى نصابها من النصفة والعدل وتلزم الحكام العمل بمقتضاها فأسر جمال الدين ذلك فى نفسه ولكن لم يستطع كتمانه لأنه كان لا يحبس فكرة ولا يحتاط بقوة نفسه أن يجهر بما يجيش فى صدره وكان يجد فى ادارة أحكام العجم مالا يطيق عليه صبرا فتلطف فى عرض هذا المشروع على الشاه فاستصوبه وتقبله قبولا حسنا ومال الى الموافقة عليه ، بل طلب من السيد أن يسن مايراه موافقا من القوانين ، فاستجاب ووضع له القانون الأساسى لمملكة فارس ، لتكون حكومة ملكية شورية .. ولما اطلع الشاه عليه عظم عليه الأمر ..

ولكن تلك الموافقة شقت على أصحاب النفوذ خصوصا الصدر الأعظم « ميرزا على أصغر خان » الملقب بأمين السلطان فما كان منه الا أن أسر الى الشاه أن هذه القوانين وان تك لا تخلو من النفع فهى لا توافق حال البلاد لأن الأمة غير متأهبة له فضلا عن أنه يؤدى الى تقييد سلطة الشاه وربما كان سببا فى تقويض عرشه فأثر ذلك فى نفس الشاه وبدأ يغير معاملته مع السيد جمال الدين ولم يلبث أن نكل عن قبول الدستور الذى قدمه له جمال ، والذى رأى فيه أن أهل فارس أوسع سلطة من الشاه بمجلسهم النيابى ،

فقال الشاه للسيد جمال « ايصح ان أكون ، وانا ملك ملوك الفرس — كأحد الفلاحين ؟! » فقال جمال : « **أعلم ياحضرة الشاة أن تاجك ، وعظمة سلطانك ، وقوائم عرشك ستكون بالحكم الدستورى أعظم مما هى الآن ، والفلاح والعامل والصانع فى المملكة — يا حضرة الشاه — أنفع من عظمتك ومن أمرائك ، واسمح لاخلاصى أن اؤديه صريحا قبل فوات وقته .. لا شك — يا عظمة الشاه — انك رأيت وقرأت عن أمة استطاعت ان تعيش بدون ملك ولكن ، هل رأيت ملكا عاش بدون أمة ورعية » !**

ولكن هذا الحديث الصريح من جمال جاء مصدقا لما وشى به الصدر الأعظم وخوف الشاة منه اذ قال : « ان مايسنه جمال الدين من القوانين لا يفيد البلاد شيئا ولكنه ينزع سلطان الشاه الشاه منه ويعطيه للسوقه والفلاحين . »

فلما رأى جمال الدين ذلك وشعر بتغير معاملة الشاه له وأحس بالدسائس التى توضع فى طريقه استأذن الشاه فى السفر الى بلدة شاه عبد العظيم فأذن له ، وما كاد السيد جمال يصل الى الضريح حتى تبعه جم غفير من العلماء والأدباء والوجهاء والعظماء واستمروا يختلفون اليه فى مقامه ذاك يفاوضونه فيما أشربته قلوبهم من أمر القوانين والأحكام وكان هو يخطب فيهم ويستحثهم على اصلاح حكومتهم فلم تمض ثمانية أشهر على مقامه بهذا الضريح حتى ذاعت شهرته فى أقاصى بلاد الفرس وشاع نبأ عزمه على اصلاح ايران وكان لهذا الخبر وقع حسن فى جميع اطراف البلاد .. بقى السيد جمال يلاقى تلاميذه ومريديه كل صباح وكل مساء ولكن منعه عن مواصلة اجتماعاته بمحبيه واختلاطه بهم مرض أصابه وألزمه الفراش وكان الشاه قد تخوف عاقبة سلطان جمال فوجه اليه خمسمائة فارس مدججين بالسلاح فقبضوا عليه وهو مريض فى فراشه فقاده خمسون فارسا منهم مكبلا بالحديد الى « خافقين » على الحدود العثمانية منفيا ، فما كان من الشعب حين بلغه حادث

القبض على السيد جمال الا ان صار فى هرج ومرج شـــديدين فانتشرت المشاغبات وكثرت الرسائل والمنشورات وتواردت على الشاه كتب يخيرونه فيها بين أمرين لا ثالث لهما :

**١ ــ اما أن يجرى على مقترحهم**

**٢ ــ واما أن يخلع نفسه عن الملك**

ولم يكتفوا بهذا بل اشتدت ثورتهم وطاح بهم الغضب فبلـغ بهم الأمر أن حاصروا الشاه يوما فى قصره .

ونعود الى جمال وهو على الحدود العثمانية وقد تفاقمت عليه العلة بسبب اشتداد البرد عليه فى تلك الديار فرحل الى البصرة .

# جمال الدين فى العراق

سافر السيد جمال الدين الى البصرة لما اشتد عليه المرض
بقى هناك حتى أبل من مرضه ودب فيه دبيب العافية .
بقى فى البصرة هذه المدة وهو يذكر الشاه بكل سوء ولم يمنعه
رضه من أن يعمل ضده .

وفى هذه الفترة قلت مصادر المال فى البلاد الايرانية ونضب
معينها لما كان عليه الشاه من انكباب على الشهوات واسراف طائل
ن أموال الرعية التى كانت تدفع من دمائها وأصبح الشاه فى احتياج
واضطرار شديدين الى المال فأخذ يتاجر بحقوق أمته فباع
للبارون « يوليوس لوترن » سنة ١٨٨٩ حق تأسيس بنك
شاهانى ايرانى ، وحق اصدار « البنكنوت» باسم الدولة وباعه
حق استخراج المعادن من جميع المناجم الايرانية ، وحق انشاء
سكة حديدية بين طهران واهواز وأسرف الشاه فى منح الامتيازات
وبيع حقوق البلاد وقد تشجع المستر « تالبوت»فأخذ احتكار
التنباك فى مارس سنة ١٨٩٠ لمدة خمسين سنة بشروط بخمسة
تعود كلها على المحتكر وعلى جلالة الشاه .

ساعتئذ صمد له جمال ووقف مجهوده على ضرب الشاه من
تلك الناحية فملأ الصحف كتابة ، والمنتديات خطابة ثم عمد الى
ارسال خطاب الى كبير مجتهدى الشيعة الحاج ميرزا « محمد حسن
الشيرازى » عدد فيه مساوىء الشاه واستيلاء العتة على عقله

وشرح فيه مضار امتياز شركة التمباك الذى يقضى بامتياز الأجانب بأهم محصول بلاد العجم فكان هذا الخطاب من أكبر الأسباب التى دعت رئيس الشيعة ان يصدر فتواه التى أفتاها ببطلان هـــذا الامتياز .

وعلى أثر ذلك تقدم لفيف من الأحرار العقلاء بالنصح والرجاء للشاه للعدول عن التفريط فى حقوق البلاد فلم يسمع الشاه لهــم نصحا بل أخذ يعتقل الزعماء ويضطهدهم ويسجنهم . فأرســل حجة الاسلام المرحوم الحاج ميرزا حسن شيرازى المجتهد الاعظم الى الشاه كتابا فيه مافيه من التحذير ، وان اعطاء الامتيازات وبيع حقوق الأمة للأجانب من الأمور التى يحرمها الدين ، وتأباها الشرائع والقوانين . ولما يئس المصلحون والأحرار من اصلاح الشاه افتى حجة الاسلام الحاج ميرزا حسن شيرازى فتواه الشهيرة بتحريم التمباك فأجاب الايرانيون جميعا دعوة المجتهد الاعظم وفى طرفة عين أطاعوا أمره ولبوا نداءه ولم يترددوا لحظة ، على شدة تعلقهم بالتمباك وشغفهم الشديد بتدخينه فى النار جريا على عادتهــم . فمخازن التمباك اقفلت أبوابها ، وابى المتعهدون بيعه ، وامتنع الطالبون والمستهلكون عن شرائه ، وعمد كل مدخن الى نارجيلته فهشمها والى ماعنده من التمباك فنبذه قصيا وفى جميع البيوت والاكواخ وحتى فى قصر الشاه نفسه لم تكن لترى مدخنا واحدا أميرا كان أو حقيرا حتى أن الشاه نفسه طلب صباح اليوم التالى للفتوى التى صدرت بالتحريم وهو فى مجلس من وزرائه نارجيلته فتقدم اليه رئيس الخدم مندهشا معتذرا وقال للشاه :

لقد صدرت يا مولاى فتوى حجة الاسلام بالتحريم فلم تبق فى القصور الملكية نارجيلة ولا تمباكا !

فغضب الشاه وقال : وهل استأذنت مولاك قبل الاقدام على ذلك ؟. فقال رئيس الخدم ( بشجاعة وسكون ) : **لقد أمر الشرع فلا حاجة بنا لاستئذان السلطان !**

وفى أواخر ديسمبر سنة ١٨٩١ أنذرت الامة حكومة الشاه بضرورة الغاء امتياز التمباك والا فيقع بالاجانب أعظم ضرر ولجأت الحكومة لتسائر وسائل الحيلة والقوة والتهديد وايذاء الزعماء فلم تفلح وهدد الشاه بنفسه مقام المجتهد فلم يزدد المجتهد الا تمسكا بفتواه .

وفى أوائل يناير سنة ١٨٩٢ أذعن الشاه وحكومته لرغبة الامة وتم الاتفاق بين الشاه وشركة الاحتكار على بطلان الامتياز الممنوح للمستر تالبوت فكانت صدمة مؤلمة للنفوذ الانكليزى فى ايران .

لقد كان فى حادثة احتكار التمباك الايرانى درس نافع عظيم لأوربا ذات المطامع الشعبية التى اطلقت لنفسها العنان فى الشرق تسلب خيراته وتنتهب اطايبه وتدس بين أهله اسباب الشقاق والفراق والنفاق لتتمكن من نصب شباكها ولتظفر بالصيد وتبطش بالفريسة والشرق عنها غافل لاه بصغائر الأمور .

نعم لقد كلف بطلان امتياز التمباك أهل ايران الشيء الكثير من النفوس والأموال ، ودفعت البلاد لشركة الاحتكار « تالبوت وشركائه » نصف مليون جنيه تعويضا ، ولكنهم مع ذلك كسبوا الحياة التى دبت فى نفوسهم ، وهيأتهم للنهضة العظيمة التى قاموا بها فى سبيل حريتهم .

وبهذا أنقذ السيد جمال بلاد ايران من احتلال الانجليز لها بابطال مقدماته وهو امتياز احتكار التمباك وقد ظهر الآن تأثير نفوذ طائفة العلماء فى بلاد فارس بما كان من قلب نظام الحكومة وتحويلها عن الاستبداد المطلق الى الشورى .

ولكن السيد جمالا لم يتنف غليله بهذه الحركة وحدهــــا ولكنه أخذ يعمل على خلع الشاه واسقاط حكومته بكل وسيلة ممكنة وكان في نيته أن يعمل وراء الشاه حتى يقتل .

وبقي السيد جمال الدين فى البصرة حتى أبل من مرضه ، وعاد اليه كامل صحته ، فما شعر بهذا الا وشد رحاله الى لندن

## جمال الدين فى لندن للمرة الثانية

ذهب السيد جمال الدين الى لندن للمرة الثانية وقد أسس هناك مجلة شهرية كان يصدرها باللغتين الانكليزية والعربية أسماها « ضياء الخافقين » ملأ صفحاتها بما كان يكتبه فى أحوال فارس ومصر من مقالات خطيرة توجد ثورات متتالية ، وأفكار متطرفة وآراء فيها جرأة وفيها اقدام .

**كان هذا أسلوب الحكيم وحده وهذا عمله الصحفى بمفرده لذا نجد الشدة بادية فيه والثورة بالغة حدها فى نفسه .**

نعم بهذا كان السيد جمال يكتب وبهذا كان يخطب .

وما كان من الشاه عندما علم بهذه المقالات الا أن أرسل اليه سفير ايران فى لندن راجيا منه الكف عن الكلام والكتابة فى حق الشاه وحكومته وأخذ يسترضيه بكل ما يمكنه حتى أراد أن يستميله بمال كثير قدمه أليه فما كان من السيد جمال الا أن يرفض باباء وشمم .

# جمال الدين فى الاستانة

لم تطل مدة اقامة جمال الدين فى لندن فى المرة الثانية اذ ورد عليه خطاب من « المابين الهمايوني » بواسطة رستم باشا سفير تركيا فى لندن يدعوه فيه الى الآستانة فاعتذر السيد بحجة انه فى شاغل وقتي لاصلاح بلاده ، فتعددت عليه الكتب ، وشددوا فيها الدعوة وبالغوا فى الرجاء ، فجاء كتابان : أحدهما الى السفير « رستم باشا » والآخر للسيد جمال ، وفيهما من الثناء والتحريض ما جعل جمال الدين يعدل عن الرفض ، ويجيب الدعوة .. وقد تضمن كتاب السلطان الى « رستم باشا » هذه العبارة « لايقبل جلالته عذراً اذا لم تقنعوا جمال الدين بالمجىء الى الآستانة ليقابله ، ثم يعود اذا شاء » فأجاب بواسطة البرق «تلغرافيا» انه سيتشرف بمقابلة جلالة السلطان ثم يعود .

فذهب اليها سنة ١٨٩٢ وكان فى نيته أن لا يستغرق هناك أكثر من أيام ليعود الى جريدته . وصل الاستانة فاستقبل من العلماء والساسة استقبالا حسنا وكان فى انتظاره « ياور » السلطان ، فلما وصل سأله : أين حقائبك ياحضرة السيد ؟ فقال « ليس معى غير حقائب الثياب ، وحقائب الكتب » فطلب الياور أن يدله على مكانها ليعمل على الأمر بحملها ، فقال السيد : **« صناديق الكتب ها هنا .. وأشار بيده الى صدره ــ وحقائب الثياب هذه ــ وأشار الى جبته »** .. ثم قال : « كنت أول عهدى بالنفى استصحب جبة ثانية وسراويل ، ولكن لما توالى النفى صرت

إستثقل الجبة الثانية ، فأترك التى على حتى تبلى فأستبدلهـا بغيرها » • لاقى السيد من السلطان عطفا ساميا فقربه السلطان وأخذ يتباحث معه فى شئون الدولة وفى حال الاسلام وكـان للحفاوة البالغة التى قوبل بها السيد جمال أثر عظيـم فى نفسه فعـزم على البقاء فى الآستانة آملا ان يرشـد السلطـان الى ما فيه اصلاح الدولة العثمانية والممالك الاسلامية ورفعة المسلمين وتخليصهم من أيدى الولاة الظالمين فأعد له السلطان عبد الحميد قصرا فاخرا مؤسسا بأجمل فـراش « فى نشان طاش » وهو من أرقى أحياء الآستانة ، ورتب له مكافأة شـهرية قدرها خمسة وسبعون ليرة عثمانية فى الشهر •

قابل السلطان السيد جمـال بهذه الحفاوة ليظهر أمام العالم الاسلامى أنه يرعى العلم والعلماء ويحترم المصلحين والمفكرين •

انقضت مدة وجمال الدين حظى عند السلطان ولكن لم يلبث الأستاذ الصيادى أن وجـه عليـه حمـلاته عند مولاه حقدا عليه وخوفا من أن ينزله مولاه تلك المنزلة التى هو فيها فاندفع يتهم جمـالا بالـكفر والزندقة كما هو المتبـع فى تنقص أقدار الحكماء والزعماء ، كما تناول بالقدح كل من والى السيد جمـال الدين وشايعه فى أفكاره ، مثل : السيد « فضل العلوى الحضرى » أمير ( ظفار ) ، والشيخ « ظافر المدنى الطرابلسى » شيخ الشاذليـة وهما كانا من المقربين لدى السلطان .

ومما اتهـم به السيد جمال قوله مرة •• أنا أطوف بأشجار البندلر طواف الحجيج بالكعبة ، فعبر جمـال عن نزاهة ذلك المكان بعبارة شعرية ولكن أبا الهدى ـ غفر الله له ـ استنبـط منها الحادا وكفرا وكان جواسيس السلطان فى ذلك العهـد يراقبون جمالا فى جميـع حركاته ويحصون عليه كل صـغيرة وكبيرة ومما يروى فى هذا الصدد أن السيد جمال اجتمع بالسيد

عبد الله نديم فى منتزة « الكاغدخانة » وقابلا الخديو اسماعيل حلمى مصادفة وتحدثوا سويا تحت شجرة هناك . فانتهز أبو الهدى ذلك وقدم تقريرا الى السلطان يخبره فيه أن جمال الدين وعبد الله نديم كانا على موعد مع الخديو عباس حلمى للاجتماع فى « الكاغدخانة » وقد بايعاه تحت الشجرة على الخلافة !

ولكن هذا لم يؤثر فى مكانة السيد جمال الدين لدى السلطان ولم يغير من عقيدته فيه غير أنه كان بوده ألا يكون ذلك وانما الذى أدى الى وجود الجفاء بين السلطان وجمال الدين وتعكير الجو بينهما استمرار جمال فى القدح على شاه العجم فى مجالسه العامة مما حمل سفير ايران على رفع الشكوى وقال له « ان سفير العجم رجانى أن أتكلم معك فى الكف عن الوقيعة فى الشاه وبناء على أملى فيك وعدته بأنك تكف عنه، وتتناسى ما مضى »، وكان فى يد السيد جمال الدين مسبحة ، فجمعها فى كفه ، وقال بصوت جهورى : **« امتثالا لاشارة السلطان فانى من الآن قد عفوت عن الشاه ناصر الدين »** فأعظم الحاضرون هذا القول فى هذه اللهجة ، ولكن جمال الدين لم يبال بذلك ، لاعتقاده أنه يحق له أن يعفو ، وأنه قد عفا عن الشاه . ولما خرج السيد جمال الدين من حضرة السلطان الى حجرة رئيس القرناء قال له هذا بلطف : ياحضرة السيد ان اجلال السلطان لحضرتك لم يسبق له مثيل ، واليوم رأيناك تخاطبه بلهجة غريبة وأنت تعبث بالمسبحة فى حضرته ! فقال جمال الدين : **« سبحان الله ! ان جلالة السلطان يعبث بمقدرات الملايين من الأمة على هواه وليس من يعترضه منهم ، أفلا يكون لجمال الدين حق فى أن يعبث بمسبحته كيف شاء ؟! »**

بمثل هذا كان يخاطب السيد جمال الدين الملوك ولا يبالى مايترتب على ذلك لأنه عول فى أدوار حياته كلها ان يتكلم بما يرضى ضميره وقد وقع فى نفس السلطان شىء من هذا الكلام كما أن السيد جمال لم يكف بالنقد عن الشاه فكثيرا ما كانت تستولى على

السيد حدة الغضب وثورة النفس وهذا تلميذه الامام يقول عنه « وكثيرا ما هدمت الحدة ما رفعته الفطنة ، ففى أحد الأيام أراد أن يرسله السلطان الى أوربا فى أمر سياسى ثم عدل عن ذلك فأراد مقابلة السلطان فقيل له انه مشغول فقال : لا أعود الى مقابلته . ثم طلبه السلطان للمقابلة فامتنع وقال : — هذه بتلك ، ولما أقنعوه بكثرة أعمال السلطان وتقييده بالمواعيد ذهب وقابل السلطان ولقد كان السلطان اذا أغضب السيد جمال بعمل يرضيه بالقول وحسن المعاملة ومن ذلك أنه لما وشى سعاة السوء بأن السيد أفشى سر السلطان الى مكاتب التيمس وكان قد زاره كما وشوا اليه بأن السيد عنده ( ديناميت ) وانه يحقر السلطان فى مجالسه فأمر السلطان بتفتيش داره فغضب السيد وذهب الى سفارة الانكليز وأراد أن يسافر من الآستانة فاستحضره السلطان بعد ذلك وقبله وقال له : ( لا يفرق بينى وبينك الا القضاء المحتوم ) ، وأثنى عليه بخدمة الاسلام وقال له : ( أحب أن أجعل وطنك الآستانة اذ لا وطن لك ) وعرض عليه أن يزوجه فأبى ثم أنزله فى زورقه الذى يتنزه فيه فى بحيرة « يلدز » .

وفى مرة أخرى كان السيد لامال طلب من السلطان لمصرى فى الآستانة زيادة راتبه ، فوعد السلطان بامضاء ذلك ، ثم أنسته أعباؤه ، فغضب جمال ، وطلب مقابلة السلطان، فأذن له ، فاستجوبه السلطان عن سبب طلبه المقابلة فقال السيد جمال : « لاشىء سوى انى أتيت لاستميح جلالتكم من ان تقيلنى من بيعتى لك لأنى رجعت عنها » فانتفض السلطان واهتز لهذا النبأ وقال : يا سيد جمال هل فكرت فيما تقول ؟ قال : نعم ، بايعتك بالخلافة ، والخليفة لايصلح أن يكون غير صادق الوعد والأمر فى يده ، فقال السلطان : سبحان الله ان أمرا طفيفا مثل هذا يحملك على نقض البيعة ؟! أما كان يحسن أن تلتمس لى عذرا بكثرة مشاغل السلطنة ، وتذكرنى قبل نقض البيعة ؟ .. ثم أصدر أمرا بتنفيذ سابق وعده .

بقى السيد جمال الدين بالآستانة محاطا بالجواسيس مراقبا في كل غدواته وروحاته حتى انتهى به الأمر الى ان يسجن في قصر من ذهب ومنع بأمر من السلطان من الاختلاط بأحد ومقابلة أي شخص الا باذن خاص وهيهات أن ينال الاذن وجاءه خطاب من الشيخ محمد عبده كتبه بطريق الكناية والتعريض ولم يضع أمضاءه في آخره خشية مراقبة البريد ، فغضب السيد وعاتبه عتابا شديدا في خطاب أرسله اليه هذا بعض منه بعد الدعاء له بتثبيت الجأش :

**تكتب ولا تمضي وتعقد الألغاز ؟ من أعدائي ؟ وما الكلاب كثرت أو قلت ؟ انك في آفاق مكفهرة لا يميز فيها الخبيث من الطيب ، ولا الشريف من النميم ، ولا الأنين من الكيس ، وامامك الموت ولا ينفعك الحذر من الأول ولو كنت حريصا على مقامك ولاينجيك الخوف من الثانى فلا تضيق على نفسك • فكن فيلسوفا يرى العالم ألعوبة ولا تكن صبيا هلوعا !**

# مرضه ووفاته

بقى السيد جمال الدين أشهرا على هذا الحال فى قصره محجوبا فى سجنه لا يختلط به أحد حتى ظهر فى حنكه مرض السرطان وقد أخذ هذا المرض يتزايد عليه ويشتد يوما بعد يوم فأمر السلطان أن تجرى عملية جراحية للسيد على أن يقوم بها كبير جراحى القصر ففاضت روحه الكريمة الى خالقها جل شأنه فى ٩ من مارس سنة ١٨٩٧ م .

نرجع الى مرض جمال وكيف أصيب به ؟ ومن أين أتى له وهو محجوز فى قصره ؟ ولم قصر أجراء العملية على طبيب السلطان الخاص ؟ ولم منع أصدقاؤه الأطباء العالميون من عيادته ؟

فقال بعض الناس ان العملية الجراحية لم تعمل على الوجه اللازم لها عمدا وقيل لم تلحق بالتطهيرات الواجبة عمدا .

ولقد تحدث « لاون استرورج » الى الأمير شكيب أرسلان بأن السيد جمال دعاه بعد اجراء العملية الجراحية الخاصة وأنه رأى حالة ازداد شدة بعد العملية فرجا منه أن يرسل اليه جراحا فرنسيا مستقل الفكر طاهر الذمة ليراه عقب العملية فأرسل اليه الدكتور « لاردى » فوجد أن العملية لم تجر على وجهها الصحيح ولم تعقبها التطهيرات اللازمة وان المريض قد هلك بسبب ذلك وعاد الى ( ستسبرغ ) وأنبأه بهذا الأمر المحزن وما مضت أيام حتى فارقت روح جمال جسده

ولقد تحدث أيضا الى الامير شكيب أرسلان أحد موظفى قصر السلطان عبد الحميد بأن ( قنبور زاده اسكندر باشا ) كان أطهر وأشرف من أن يرتكب مثل تلك الدناءة ولكن كان رجل عراقى اسمه ( جارح ) طبيب أسنان كان يتردد على السيد جمال ويعاين له أسنانه وكانت نظارة الضابطيـــة قد استمالت ( جارحا ) هذا بالدراهم وجعلته جاسوسا على المترجم فصار له عدوا فى ثيـــاب صديق فأردت مرة أن أمنع جارحا من الاختلاط بجمال الدين فأشار الى ناظر الضابطية اشارة خفية بأن أتركه وفهمت من الاشـــارة انه يذهب الى هناك ويطبب اسنان السيد بعلم من النظارة والسيـــد لايعلم شيئا من ذلك ويستخلص جارحا ويثق به فلا أعـــــلم ماذا فعل جارح بواسطة طبه وثقة جمال الدين به . الا أنه لـــم تمض فترة ظهور مرض السرطان فى فك السيد من الداخـــل. وأجريت له عملية جراحية فلم تنجح وجارح هذا كان ملازما له . وبعد موت السيد كما نرى جارحا حزينا كئيبا كاسف البال واجم الوجه مما جعلنا نشتبه أن يكون ذايد فى افساد الجرح بعــــد العملية أو فى توليد المرض نفسه من قبل بوسيلة من الوســـائل

وبالجملة فقد مكث السيد جمال خمس سنوات فى الآستـــانة بين مظاهر عطف السلطان ودس رجال القصر وكثيرا ماشعر السيد بهذا الدس وطلب التصريح له بالسفر فمنعوه بظاهر المحبـــــــة وباطن التعذيب ومع هذا المجد العظيم وتلك الحياة الزاخــــرة بالأعمال الجليلة تناوله الحاقدون بالطعن ،وتناول نفسه هو بالتقصير، اذ لم يكن ـ مع كل هذا ـ راضيا عن نفسه كل الرضاء ويعتقد انه لم ينل مأربه فى حياته ليموت شهيدا ، يتجلى ذلك كله فيما اجاب به من قال له أن بعض الأصدقاء ، « جورج زيدان » ـ وهو من محبيه على البعد ـ يرغبون فى الحصول على ترجمة حياته لنشرها فى صحفهم بقوله : « ان العيان لا يحتاج الى ترجمان ، قل لهم ما قاله فلان عنى

.. إني ثرثار متشرد تائه فى الأرض .. فلما قيل له : لا ينبغى للأستاذ الحكيم أن يضن على أهل عصره بما ينفعهم ولا يضره قال : وأى نفع لمن يذكر انني ولدت سنة ١٢٥٤ وعمرت أكثر من نصف قرن ، واضطررت لترك بلادي « الافغان » مضطربة تتلاعب بها الأهواء والأغراض ، وأكرهت على مبارحة الهند ، وأجبرت على الابتعاد عن مصر ، أو ان شئت قل نفيت منها ومن الاستانة ، ومن أكثر عواصم الأرض . كل هذه الأحوال خاطرات لا تسرنى ، وليس فيها أدنى فائدة للقوم ، وأما القول بأنها لا تسرنى .. لا بمعنى أنى نفيت من البلاد أو سجنت ، كلا .. لأنى أعتقد أن السجن بطلب الحق من الظالمين العتاة رياضة، والنفى فى ذلك السبيل سياحة والقتل شهادة وهى أسمى المراتب ، فأنا عن نفسى غير راض ذلك لأن الخمول قد قعد بى فلم يوصلنى الى مراتب الشهداء ، وحظى فى مصاف المنفيين من أرض الى أرض والمسجونين فيها . فما أبعدنى فى كل هذا عن أولى الهمم ، ومن قام بالأعمال الخطيرة أو الطلب الجلل

فهذا جمال الدين وقد عرضت عليه الوظائف الكبيرة والمراتب الرفيعة فرفض بإباء وشمم ، وكم قدمت له نياشين الشرف والكمال فامتنع فى كبرياء وعزة .

**نعم مات السيد جمال ولكن سرعان ماجحد فضله وانكرته حكومة تركيا مما جعلها تأمر بدفنه من غير احتفال أو تشييع حتى انها اصدرت أمرا سلطانيا الى الصحف التابعة للدولة العلية بألا تكتب فى شأنه شيئا وتكتمت خبره على الصحف بل صادرت الحكومة فى سوريا جميع الجرائد المصرية والمجلات التى أبنته .**

دفن السيد جمال فى مقبرة مجهولة بالقرب من «نشان طاش» وبقيت تلك المقبرة مجهولة لاتزار ولايعرفها أحد أو لم يبحث عنها أحد ونسى هذا الرجل الذى وهب حياته للشرق عامة وللاسلام خاصة الى أن أهتم بالبحث عن المقبرة رجل من أمريكا وهو

( المستر كراين ) فاهتدى اليها سنة ١٩٢٦ فجددها أحسن تجديد وأقام على حفرته شاهدا فخما من الرخام وقد نقش عليه اسم السيد جمال ولقد كلف هذا مبلغ عشرة الاف دولار فأدى بهذا واجبا على المسلمين بل على الشرقيين عامة .

ولقد أتاحت لى الظروف أن ألتقى مع المستر كراين هذا فى منزل أحمد شفيق فى شتاء عام ١٩٣٥ بمدينة حلوان ولقد تحدثنا عن السيد جمال وقدمت له اسمى عبارات الشكر والثناء على اهتمام بنقل رفاته . ورحم الله السيد جمال .. لقد كان شعلة اتقدت لايقاظ الاسلام وصورة من الاخلاص بعثها بارىء الكون لتترك آثارها العظيمة الاصلاحية التى مازلنا نجدها فى كل حركة مباركة تعود بالخير على الاسلام وأهله فى جميع الاقطار .

# مشربه الدينى

كان السيد جمال الدين مؤمنا صادق الايمان موقنا انه على حق ٠٠ ومن آمن بالحق لم تزعجه قوة مادية مهما عظمت ، ولم تضعضه كل قوات الباطل وان اجتمعت ــ بدعم عقيدته الاسلامية على أسس المنطق والحكمة العقلية ، يناقش الأحكام بالعقل فاذا به يقرها مؤديا كل ما أمره الله به لايفرط فيه قيد شعرة مطيعا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ٠ درس المذاهب دراسة وافية فاتبع المذهب الحنفى مع مراجعة الكتاب والسنة الصحيحة ٠

وقد قال عنه الامام محمد عبده

( أما مذهب الرجل فحنفى ، وهو ــ وان لم يكن فى عقيدته مقلدا ــ لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادةالصوفية وله مواظبة شديدة على أداء الفرائض فى مذهبه وعرف بذلك بين معاشريه فى مصر أيام اقامته بها ولايأتى من الاعمال الا مايحل فى مذهب امامه فهو أشد من رأيت فى المحافظة على أصول مذهبه وفروعه ٠٠ أما حميته الدينية فهى مما لا يساويه فيها أحد يلتهب غيرة على الدين وأهله

ومع هذا فانه كان يسخر من القائلين بسد باب الاجتهاد فذكر فى مجلسه يوما قول القاضى عياض على أنه حجة يستند اليه. فقال جمال الدين : ياسبحان الله أن القاضى عياض ، قال ماقاله على قدر ماوسعه عقله وتناوله فهمه وناسب زمانه .

فهل لايحق لغيره أن يقول ماهو أقرب الى الحق واوجه وأصح من قول القاضي عياض وغيره من الأئمة • فقالوا له ان هذا لايكون مع القول بسد باب الاجتهاد فغضب وقال : مامعنى ان باب الاجتهاد مسدود وبأى نص سد باب الاجتهاد ، رأى امام قال لاينبغي لأحد بعدى ان يجتهد ليتفقه بالدين أما ان يهتدى بهدى القرآن وصحيح الحديث أو ان يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منها والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجيات الزمان وأحكامه الا ينافى جوهر النص ثم قال : لاأرتاب بأنه لو فسح فى أجل أبى حنيفة ومالك والشافعى واحمد وعاشوا الى اليوم لداموا مجدين مجتهدين يستنبطون لكل قضية حكما من القرآن والحديث

## الطعن في عقيدته

**من سنن الكون أن يكون لكل أنسان قادح ومادح على أن العلماء الاجلاء وخاصة المبرزين في الناحية الدينية هم أكثر النــــاس أعوانا من العامة وغير الدينيين وأكثر الناس اعداء من العلمــــاء ورجال الدين .**

اما اعوانهم ومحبوهم فلعلمهم وفضلهم وسعيهم وجهادهـــم وأما خصومهم فلأنهم سيظفرون في ميدان السبق ويفوقون أعداءهم وروح التنافس بينهم قوية شديدة . واقرب شيء يطعن به العلماء على الرجل الديني الذى برز في ميدانهم هي عقيدته فسرعـــان ما يوصف بالالحاد والزندقة فلا ذنب للعامة اذا ــ وهم يتبعــون علماءهم بدون مناقشة في الرأى ولا مجادلةفي الطريق ــ اذا فهموا هذا على أنه حقيقة ولاعيب عليهم ان هم نبذوا مايذيعه ذلك الجيل من حكم وجواهر علمية .

هذا ان تمكن العلماء من ضم العامة اليهم أما اذا كان ذلــك الخصـــم جريئا شجاعا مقداما قوى الحجة منطلق اللسان فالعامة معه والخاصة تتأصده ويبقى العلماء وحدهم لايعضدهم الا اجماعهم في منصبهم الدينى .

وقد روى الحافظ بن عبد البر ، وغيره ــ عن ابن عباس رضى‌الله عنهم وعن بعض كبار السلف كمالك بن دينار ــ النهى عن سمــاع كلام العلماء بعضهم ببعض ، وتعليله أنهم أشد تغايرا من ســـائر

المخلوقات حتى قال بعض الفقهاء بعدم قبول شهـادة بعضهم على بعض .

وهذا السيد جمال الدين ألقى فى عقول الناس وجوب البحث وتفهم الدين وأثبت أن شعوب المسلمين اليوم غير ماكانت عليه بالأمس وهذا لعدم فهمهم الدين على وجهه الصحيح ـ فكان ذلك طعنا صريحا فى العلماء وماهم عليه من العلم ـ فلم يبق عندهم الا الطعن على مقرر هذا .

وما قيل فى الحكيم المجدد من الطعن المبهم الذى لايعرف له قائل له قيمة لايعد شيئا فى جانب ماقاله العلماء المتقدمون فى الامام أبى الحسن الأشعرى ، والامام ابن حزم وحجة الاسلام الغزالى وشيخ الاسلام ابن تيمية والامام ابى حنيفة والعالم الزمخشرى وغيرهم .

١ ـ أذاع العلماء اختلافا على السيد جمال الدين الأفغانى من ناحية عقيدته هل هو فيلسوف الهى أم مسلم أم فيلسوف مادى معطل ولقد تعرض الامام محمد عبده لادحاض هذه التهمة أكثر من مرة وبمثل هذه المبادىء السخيفة والكلمات المخزية أضلوا العوام ووضعوا عقائدهم فى خصومة دائمة مع الحقائق العلمية وجنوا على الاسلام جناية كبرى ظهر أثرها فى الانحطاط السياسى والاجتماعي الذى كانت فيه الأمة حين ذاك ، واذا قام مصلح أو مجدد يتكلم باسم الحكمة والعلوم العالية ويحث على النظر وينهى عن التقليد ويبين مضار الجمود كان أول مايتسرعون اليه رميه بالزندقة واتهامه بوهن العقيدة ، وقد يصادف ذلك هوى فى أفئدة من يميلون الى التعطيل فعلا ، فيتلقفون ما يسمعونه من هذا القبيل بدون تثبت ويسارعون الى اذاعته بين الناس لأن من أحب شيئا أحب أن يرى كبار الرجال شركاء له فيه ولهذا صدر الامام رسالة الرد على الدهريين التى تقدم الكلام عليها بقوله :

« يحملنا على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل مانزاه من اختلاف آراء الناس فى أمره ، وتضارب اقوالهم فى حقيقة حاله ، حتى كأنه قوة روحية قامت فى كل ذهن بما يلائمه أو حقيقة كلية نزلت فى كل عقل بشكل يشاكله ، والرجل على صفاء جوهره وذكاء مخبره لم يتناوله وضع الواضعين ولاحذر الخراصين الخ »

ولقد قال عنه الكاتب التركى محمد عاكف فى مقال نشر بجريدة شورى التى تصدر فى اورينبورج :

وان تعجب فعجب نعت خيرة رجال الاسلام بتلك النعوت مثل جمال الدين الأفغانى مع أنه هو وتلاميذه المعروفون وحدهم بالمدافعة عن الدين الاسلامى وهم أنفسهم المجتهدون فى ترقية بنيه بتربيتهم تربية صحيحة ، وهو الذى أنفق عمره الثمين لينهض بأمته من حضيض الذل الى أوج العز ويؤهلها للجهاد فى معترك هذه الحياة ليخرجوا من أسر الذلة والاستعباد .

**أن جمال الدين الأفغانى ((رحمه الله)) ضاقت عليه الأرض بما رحبت سواء كان فى الافغان أو العجم أو تركيا أو أوربا ولميسمح له أن يقيم فى احدى هذه البلاد ناعم البال منشرح الصدر ، ولو كان من محبى المال والجاه والمناصب العالية لترك مااضطهد لاجله وهو خدمة الاسلام الجليلة والقاء الدروس النافعة للعالم الاسلامى**

ولما حاول ايقاظ المسلمين من نومهم العميق المؤدى الى النوم الأبدى ان لم يسعف بالمنبهات من مثل ارشاد جمال الدين .. نعم لو أن جمال الدين ترك خدمة الأسلام واشتغل ببث أفكاره فى العالم ولميعمل علىايقاظهم لانهالت عليهسحب الدنانير ولكانموضع الاحترام وصاحب المقام الذى لايرام فى جميع البلاد ولكن تلك الروح العالية والارادة القوية والنفس السامية لم تنزل به فى هذا

الحضيض ــ حضيض المجد الزائل ــ فما زال مشمرا عن ساعــد الجد ، مجتهدا لترويج مقاصده الخيرية ، يصارع الأيام ، ويكافــح النوائب غير هياب ولا وجل ويثبت في موقف يتعذر على غيره الوقوف فيه حتى صح أن يقال عنه انه كان شهيدا في حياته وصــدقت عليه عبارة كمال بك التركي « أحسن شيء وافضله في هـــــذه الدنيا ان يكون الانسان شهيدا في حياته »

# مشرب جمال الدين السياسى

أما هو من الناحية السياسية . فقد كان صاحب عقيدة وفكرة وهى الجامعة الاسلامية ، فوهب نفسه للاسلام وطاف البلاد معتبرا الاسلام وطنه فى أى بلد كان مادام يدين به . لقد حورب وطورد ونفى وشرد وعذب فاستهان بكل هذا فى سبيل انتصار دعوته وكم كان بوده ان يرى ثمرة جهاده قبل مماته . ولكن عاكسته الأقدار ، واعترضت سبيله عقبات جمة من الدول الاستعمارية وفى مقدمتها الدولة الانكليزية التى كان قد أعلن عداءه لها ، كما أن حكام الشرق كانوا فى زمنه مستبدين ،وكان هو يبغض الاستبداد ورجاله ماداموا بعيدين عن الاصلاح فما كان منهم وهذا مبدؤه ، الا أن حاربوه وعملوا ضده وأبطلو خططه فعاكسوه فى فكرته الاسلامية من حيث لا يعلمون فكان كلما ذهب الى بلد اضطهد فيها ، فلم يؤسس أسرة ، ولم يدخر مالا ، وما كان يدرى بأى مكان ستشرق عليه شمس الغد ، أو تسطع عليه نجوم السماء أو بأى أرض يموت فتنقل فى افغانستان وفارس وتركيا ومصر والحجاز وروسيا والهند فهزها هزا عنيفا ونفخ فيها من روحه القوية الثائرة وطاف مدن انجلترا وفرنسا والمانيا وانشأ الجماعات فى باريس ومكة وغيرها وابرز الصحف القوية الملتهبة كل هذا لتحقيق مقصدة لتوحيد كلمة الاسلام ولم شمل المسلمين وجمعهم تحت لواء واحد وكان السيد جمال يرى الاسلام سياسة رشيدة

ودينا عاما خالدا للجميع وانه هو الوطن الحقيقي للمسلمين لهـذا يقول براون .

« ان تاريخ السيد جمال الدين هو تاريخ المسألة الشرقيـة كلها في الأزمان الحديثة يدخل في ذلك تاريخ الأفغان والهنـد وتركيا ومصر وايران » .

ولقد قال الأستاذ الامام « انه كان يسعى لانهاض احدى الدول الاسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شئونها حتى تلحق بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه وللدين الحنيف مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الأقطار الشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانكليز شئون يطول بيانها » .

ولقد قال عنه براون أيضا :

« انه كان فيلسوفا وكاتبا وخطيبا وصحفيا لكنه كان فـوق ذلك سياسيا وكان في نظر المعجبين به وطنيا عظيما أما خصومه فكانوا يعدونه مشاغبا خطرا »

# خاتمة

**ان نواحى العظمة فى الرجل كثيرة جدا لا أظن كاتبا يستطيع أن يوفيها حقها .**

وبالجملة فقد كانت حياته سلسلة جهاد موفق وكفاح مثمر وعمل منتج ودرس مفيد ... حياة خصيبة ممتعة لها من الآثار المجيدة ما لا سبيل الى المغالاة فى تقديره .

**نعم كان السيد جمال رسول الاصلاح فى قرنه فكان يجول بفكره فى ميدان مترامى الاطراف ويتناول فى مباحثه خطير الشئون ويقف جهوده على مايهم البشر من المصالح**

والواقع ان السيد جمال الدين كان أمة وحده ، وكان مجموعة من الحكماء والفلاسفة والمصلحين والعلماء والساسة

**فاذا ماذكرناه لكم أو عرفناكم به فانما نعرفكم بمصلح دينى وفيلسوف حكيم وزعيم سياسى نعرفكم به وقد جمع بين أولئك الصفات فى وقت تفرقت فيه الكلمة واشتد الظلم وندر النصير .**

وقصارى القول فان الغرض الذى كان يصوب نحوه السيد جمال اعماله والمحور الذى كانت تدور عليه آماله « **توحيد كلمة المسلمين** » . ولقد بث فى نفوس أصدقائه ومر يديه روحامنه حركت هممهم واقلامهم فانتفع الشرق وسوف ينتفع باعمالهم

وانى اخيرا لأفتخر بالسيد جمال الدين فى الاسلام وأقول : ـ

**حسبه عظمة ومجدا أنه فى تاريخ الشرق الحديث أول داع الى الحرية وأول شهيد فى سبيل الحرية .**

# صدر من هذه السلسلة حتى الآن

من الآيات الكونية في القرآن الكريم ... ... ... ... دكتور محمد جمال الدين الفندى

٢ التربية فى الاسلام ... .. الأستاذ محمد عطية الابراشى

٣ قصص الأنبياء ... ... .. الأستاذ حامد عبد القادر

٤ وسطية الاسلام ... الشيخ محمد محمد المدنى

٥ نظرية الحرب فى الاسلام ... فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة



٦ الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة ... ... ... ... الأستاذ ابراهيم محمد اسماعيل

٧ رسالة فى الصلاة ... ... ... ... فضيلة الشيخ كامل محمد حسن

٨ نفحات الحج والزيارة ... ... ... ... ... ... الأستاذ متولى نجيب

٩ نحل العسل ... ... ... ... ... ... ... ... ... الدكتور عبد الخالق وفا

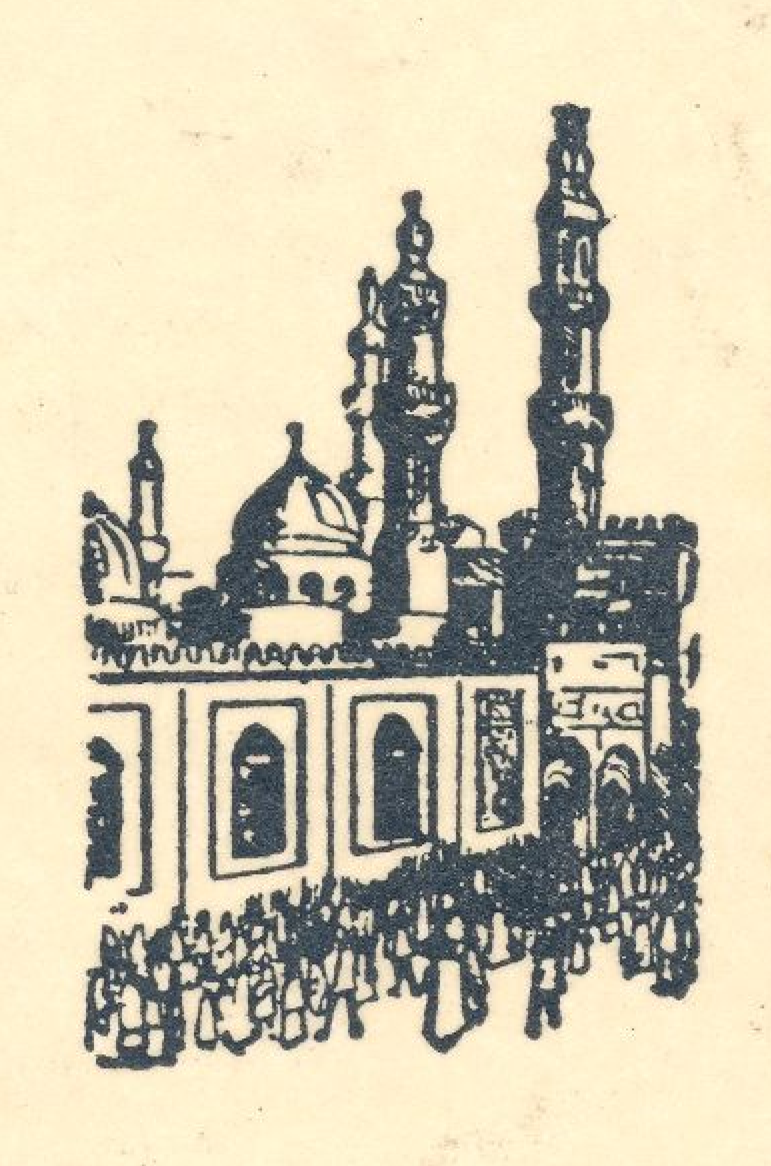
١٠ الفارابى وابن سينا ... ... ... ... ... ... ... الدكتور محمد غلاب

١١ الفقه الاسلامى والقانون الرومانى ... ... فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة

١٢ اشتراكية الاسلام والاشتراكيات الغربية ... ... ... ... ... الأستاذ محمد ابراهيم حزمة

١٣ الربا بين الاقتصاد والدين ... ... ... الأستاذ عز العرب فؤاد

١٤ الجوانب التوجيهية للعقائد والمثل فى القرآن ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى



الثمن ٥ ق

مطابع شركة الاعلانات الشرقية